رسائل ابن عربي

القطب والنقباء وعقلة المستوفز



تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح

مؤسسة الانتشار العربي

Arab Diffusion Company

عقلة المستوفز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواهب[١]، الذي افتتح وجود السوي بالأرواح المهيمة المخلوقة بل المُبدعة[٢] من فيض السبحات، وعيّن منهم[٣] العنصر الأعظم بالمقام الذي لا يقبل الحركات، الحكيم الذي فتح وجود عالم التكوين والتدبير بإيجاد القلم الأعلى واللوح المحفوظ، مظهري[٤] عالم التدوين والتسطير، موجد محل الظلم والمقدار والإيلاج[٥] والتكوير، مظهر أعيان الأشخاص على الفلكية والأملاك، ومعين مقاماتهم في الأركان والأفلاك، مسخر الأنوار، ومحرك الأكوار بضروب الأدوار، واختلاف الأحوالِ والأطوار، وكوَّر الليل والنهار[٦]، على عالم الانشقاق والانفطار، لإيجاد الإنسان الذي خلقه في أحسن تقويم، وأبرز نسخة جامعة لصور حقائق المحدث وأسماء القديم، وأقامه سبحانه رابطاً للحقيقتين، وأنشأه برزخاً جامعاً للطرفين[٧]، أحكم بيديه صنعته، وحسَّن بعنايته صِبْغته، فكانت مضاهاته للأسماء الإلهية بخُلُقه، ومضاهاته

---

(١) في المطبوعة (الواجب).

(٢) على هامش المخطوط إضافة تقول تصحيحاً (المبتدعة).

(٣) في المخطوط (فيهم) ومصححة بالهامش (منهم).

(٤) في المخطوط (مظهر) ومصححة بالهامش.

(٥) من هامش المقدمة وهناك اضطراب في الترتيب بينها وبين المطبوعة.

(٦) هكذا وجدت بالمخطوطة، أمّا المطبوعة ففيها الآتي: (يكوّر النهار على الليل ويكوّر الليل على النهار).

(٧) هذا هو (الحق المخلوق به) في اصطلاح الصوفية أو (العدل) كما يحبون أن يشيروا إليه في أحيان كثيرة، وهو عبارة عن أول مخلوق خلقه الله تعالى، وأنه هو الإنسان الكامل ودلَّ ذلك من كلامهم بعبارتين أحدهما: كونه العلة الغائية في كل ما خلق الله.

ثانيهما: كون المراد بالإنسان الحقيقي هي الحقيقة المحمدية، وأنها هي حقيقة الحقائق، وحضرة أحدية الجمع، وغير ذلك.

انظر في ذلك: القاشاني: **لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، معجم المصطلحات والإشارات الصوفية** بتحقيقنا ١/ ٤٢٧، ٢/ ١٤٧.

للأكوان العلوية والسفلية بخلْقه، فتميز عن جميع الحقائق بالخلقة المستقيمة والخلائق، عيّن سبحانه سره مثالاً في حضرة الأسرار، وميّز نوره من بين سائر الأنوار، ونصب له كرسي العناية بين حضرتيه[١]، وصرف نظر الولاية والنيابة[٢] إليه.

فلمّا أقامه تعالى بهذا المقام الأكمل[٣]، وردّاه برداء المعلم الأجمل، فنظرت إليه الروحانيات العلى بعين[٤] التعظيم، وذلك قبل وجود مركبه البهيم، فلم يزل على الكلمة بعلم الأسماء متميزاً بتفاصيل[٥] الأشياء إلى أن أخذت مقاماتها الأملاك، ودارت بأشواقها الأفلاك، وانفعلت الأكوان لذلك الدور، وانعطاف المكور عليها بعد الكور، وظهرت المتولدات الجسمانية[٦] كالمعدن والحيوان والنبات وليس للإنسان وجود في الأعيان، حتى إذا بلغت الدورة المخصوصة، وتوجهت الكلمة المنصوصة، من الحضرة العلية المأنوسة، لإيجاد[٧] هذه الكلمة الهوية المحروسة قبض الحق سبحانه[٨] من الأرض قبضته من حيث لا يعلمون، وخمَّر طينته بيديه[٩] من غير تكييف ولا تشبيه وهم لا يشعرون.

وسوّاه متجاور الأضداد، وميّزه[١٠] بالحركة المستقيمة من بين سائر الأولاد، وأعطته قوى هذه البنية التصرف بالحركة المنكوسة الأفقية، ثم أنطق الفهوانية[١١] في الروحانيات بخلافته فطمعت في فورها في نيابته، ولو عاينوا تشريف اليدين ما حجبهم[١٢] مجاورة الضدين.

---

(١) حضرة الجمع والفرق.

(٢) أي الخلافة: نيابة عن الحق.

(٣) وهو مقام الخلافة والنيابة وما أعظمه من مقام.

(٤) في النسخة المخطوطة: (بين).

(٥) في المطبوعة (بميز التفاصيل).

(٦) في المطبوعة (ذوات الكميات والكيفيات) زائدة.

(٧) في المطبوعة (بإيجاد).

(٨) في المطبوعة: (كما روى).

(٩) زائدة من النسخة المطبوعة.

(١٠) من النسخة المخطوطة (ومنزه).

(١١) (الفهوانية) هذا المصطلح من المصطلحات الصوفية التي لم تعرف عند أهل الطريق قبل مجيء ابن عربي، وله كتاب في ذلك سماه (منزل المنازل الفهوانية) انظره في من أول الرسائل التي تنشرها وهو يشرح فيه دلالة الفهوانية وكونها خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال، ولها منزل الاستواء الفهواني، أو منزل الفهوانيات الروحانية. وهو قوله (صلى الله عليه وسلم) في الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه).
انظر كتاب ابن عربي **منزل المنازل الفهوانية**.
وانظر **معجم المصطلحات الصوفية** ٢/٢٢١.

(١٢) في المطبوعة (ما حجبتهم).

فلما نفخ فيه الروح الأنزه والسر الحاكم المتأله، عرفت الملائكة حينئذٍ قدر هذا البيت الأعلى، والمحل الأشرف الأسنى، وأوقفهم بين يديه طالبين، وأمرهم فوقعوا له[1] ساجدين.

والصلاة على المخصوص بهذه المكانة الشريفة، والمرتبة المقدّسة المنيفة، الظاهر بها من غير طعن ولا إنكار، محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه ما اندرجت الأنوار في الأنوار، واتحدت الأسرار بالأسرار وسلّم تسليماً كثيراً.

(١) في المخطوطة (فوقعوا إليه).

باب في نظم ما يحتوي عليه هذا الكتاب

[من ذكر العالم العلوي والسفلي وترتيبه ونضده وهو هذا][1]:

الحَمْدُ لِلّهِ الّذي بوُجُودِهِ ... ظَهَرَ الوُجودُ، وَعالَمُ الهَيَمانِ
والعُنْصُرُ الأَعْلى الّذي بوجُودِهِ ... ظَهَرَتْ ذَوَاتُ عَوَالِمِ الإمْكَانِ
مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فَلا مُتَقَدِّمٌ ... فِيهِ وَلاَ مُتَأَخِّرٌ بالآنِ
حَتَّى إذَا شَاءَ المُهَيْمِنُ أن يَرَى ... مَا كَانَ مَعْلُوماً مِنَ الأَكْوَانِ
فَتَحَ القَدِيرُ عَوالمَ الدِّيوانِ ... بِوُجُودِ رُوحٍ ثُمَّ رُوحٍ ثَانِ
ثُمَّ الهَبَاءَ، وثُمّ جِسمٍ قَابِلٍ ... لِعَوَالِمِ الأَفْلاكِ والأَرْكَانِ
فَأَدَارَهُ فَلَكاً عَظِيماً واسْمُهُ الْـ ... ـعَرْشُ الكَرِيمُ، ومُسْتَوى الرَّحْمَنِ
يَتْلُوه كُرْسِيّ انْقِسَام كَلامِهِ ... فَتَلُوحُ مِنْ أَقْسَامِهِ القَدَمَانِ
مِنْ بَعْدِهِ فَلَكُ البُرُوجِ وَبَعْدِهِ ... فَلَكُ الكَوَاكِبِ مَصْدَر الأَزْمَانِ
ثُمَّ النُّزولُ مَعَ الخَلاَءِ لِمَرْكَزٍ ... لِيُقِيمَ فِيهِ قَوَاعِدَ البُنْيَانِ
فَأَدَارَ أَرْضاً ثُمَّ مَاءً فَوْقَهُ ... كُرةَ الهَوَاءِ، وعُنْصُرَ النِّيرَانِ
مِنْ فَوْقِهِ فَلَكُ الهِلاَلِ وَفَوْقَه ... فَلَكٌ يُضَافُ لِكَاتِبِ الدِّيوانِ
مِنْ فَوْقِهِ فَلَكٌ «لِزَهْرة» فَوْقَه ... فَلَكُ الغَزَالَةِ مَصْدر المَلَوَانِ
مِنْ فَوْقِهِ المَرِّيخُ ثُمّ المُشْتَرِي ... ثُمَّ الّذي يعزى إلى كِيوَانِ
وَلِكُلِّ جِسْمٍ مَا يُشَاكِلُ طَبْعَه ... خُلُقٌ يُسَمَّى عَالَمَ النُّورَانِ
فَهُمُ المَلاَئِكَة الكِرام شِعَارُهُم ... حِفْظُ الوُجُودِ من اسْمه المِحْسَانِ

(١) ما بين المعقوفتين [-] من المطبوعة.

فَتَحرَّكَتْ نَحْوَ الكَمَال فَوَلَّدَتْ   عِنْدَ التَّحَرُّكِ عَالم الشَّيْطَانِ
ثُمّ المَعَادِنُ والنَّبَاتُ وبَعْدَهُ   جَاءت لَنَا بعوالِمِ الحَيَوانِ
والغَايَةُ القُصْوى ظُهُور جُسُومِنَا   في عَالَم التَّرْكِيبِ والأَبْدَانِ
لمَّا اسْتَوَتْ وَتَعدَّلَتْ أَرْكَانُهُ   نَفَخَ الإِلَهُ لَطِيفَةَ الإِنْسَانِ
وَكَسَاهُ خُلْعَتَهُ فَكَانَ خَلِيفَةً   تَعْنُو لَهُ الأَمْلاَكُ والثَّقَلاَنِ
وَبِدَوْرَةِ الفَلَكِ المُحيط وحُكْمُه   أَبْدَى لنَا فِي عَالَمِ الحَدَثَانِ
في جَوْفِ هَذِي الأَرْضِ مَاءً أَسْوَد   نَتِناً لأَهْلِ الشِّرْكِ والطُغْيَانِ
تَجْرِي علَى مَتْنِ الرِّيَاحِ وعِنْدَهَا   ظُلُمات سَخَطَ القَاهِرِ الدَّيَّانِ
دَارَتْ بصَخْرةِ مَرْكَز سُلْطَانُهُ الْـ   رُوح الإِلهيّ العَظِيم الشَّانِ

باب: الكمال الإنساني

أمّا بعد:

فإنَّ اللهَ تعالى عَلِمَ نفسه فَعَلِمَ العالم، فلذلك خرج على الصورة وخلق الله الإنسان مختصراً شريفاً جمع فيه معاني العالم الكبير، وجعله نسخة جامعة لما في العالم، ولما في الحضرة الإلهية من الأسماء[(١)].

وقال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله خلق آدم على صورته»[(٢)].

فلذلك قلنا: خرج العالم على الصورة [وفي هذا الضمير الذي في صورته خلاف لمن يعود لأرباب العقول][(٣)] وفي قولنا: عَلِمَ نفسه، فعلِمَ العالم [غُنية لمن تفطن[(٤)]، وكان حديد القلب بصيراً] ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحَّت له الخلافة والنيابة عن الله في العالم.

---

(١) انظر كتاب ابن عربي: **نسخة الحق، والطب والإمامين** في المجلد الأول من الرسائل.

(٢) حديث: (**إن الله خلق آدم على صورته**).

أورده العجلوني في كشف الخفاء بلفظ (**خلق الله آدم على صورته**) وقال: رواه الشيخان، وأحمد عن أبي هريرة بزيادة وطول ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فذهب وقال السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعاً فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن.

انظر: العجلوني: **كشف الخفاء** ٣٧٩/١ حديث رقم (١٢١٥).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة وكتب مكانه لأرباب العقول.

فلنبين في هذا المنزل نشأة هذا الخليفة[1]، [ومنزلته وصورته على ما هي عليه. ولسنا نريد بما هو إنسان حيوان فقط، بل بما هو إنسان وخليفة،][2] وبالإنسانية والخلافة صحت له الصورة على الكمال. وما كل إنسان خليفة. [فإن الإنسان الحيوان ليس خليفة عندنا][3]، وليس المخصوص بها أيضاً الذكورية فقط. فكلامُنا إذاً في صورة الكامل من الرجال والنساء. فإن الإنسانية تجمع الذكر والأنثى. والذكورية والأنوثية[4] إنما هما عرضان ليستا من حقائق الإنسانية، [لمشاركة الحيوان كلها في ذلك][5]، وإن كان يستدعيها حقائق أُخَر، ثم من حيث النتاج فذلك أمر آخر قد ذكرناه في كتاب (النكاح)[6].

وقد شهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) بالكمال للنساء، كما شهد به للرجال، فقال في الصحيح:

«كَمُلَ من الرجال كثيرون، وكَمِلَت من النساء مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»[7].

وسُئِلَ بعض الأولياء عن الأبدال: كم يكونون؟

فقال (رضي اللّه عنه): أربعون نفساً.

فقال له السائل: لِمَ لا تقول أربعون رجلاً؟

فقال: قد يكون فيهم النساء.

وغرضُنا إنما هو الكمال، ظهر فيمن ظهر. ﴿وللرجال عليهن درجة﴾[8] وتلك الدرجة

---

(١) في النسخة المخطوطة (الخلائفا).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٣) من بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٤) في المخطوط (الذكور والإناث والذكورة والأنوثة).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٦) لم يطبع بعد وانظر هذا الباب في الفتوحات.

(٧) حديث: (كَمِلَ من الرجال كثيرون...).

أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد بن حنبل ومتفق عليه من حديث البخاري ومسلم، وورواه الترمذي وابن ماجة. كلهم عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ

انظر الحديث رقم (١٥٩٧٣) ٥/١١٣

ومن النسخة المخطوطة (وآيسة امرأة فرعون..).

(٨) الآية رقم (٢٢٨) من سورة البقرة.

الأصلية. فإن حواء وجدت من آدم فله عليها درجة في الإيجاد. وكذلك العقل مع النفس، والقلم مع اللوح، فلما كانت المرأة منفعلة عن الرجل[١] بالأصالة لذلك كانت الدرجة.

(١) في النسخة المخطوطة (الرجال).

باب: في خلق الأرواح المهيَّمة والعنصر الأعظم

اعلم

(أن للّه سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سُبُحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه)[1].

فلهذا نرى الحق من غير الوجه الذي يرانا، وإنما يقع الاحتراق إذا وقعت الرؤية من وجه واحد، وهو وقوع البصر منك على المبصر، وقد أوجد اللّه تعالى في هذه الدار مثالاً لهذا المقام على عزته وعلوّه، فخلق دابة تسمى «الصِّل»[2]، إذا وقع بصر الإنسان عليها وبصرها عليه على

---

(١) حديث: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة...)، وفي المخطوط (سبعين حجاباً).

له روايات مختلفة. قال الحافظ العراقي في كتابه «المغني عن حمل الأسفار» رواه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ (بين الملائكة وبين الله سبعون ألف حجاب من نور) وإسناده ضعيف وفيه أيضاً من حديث أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لجبريل: هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين ألف ومن رواية (سبعين حجاباً من نور).

وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد: دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة.

ولمسلم من حديث أبي موسى: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ولابن ماجة: شيء أدركه بصره.

انظر المغني على هامش الإحياء.

وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (مادة: حجب) ١/٤٢٤.

وفيه رواه مسلم في الإيمان ٢٩٣، ٢٩٤.

وابن ماجة من المقدمة ١٣، وأحمد بن حنبل في مسنده ٤/٤٠١.

(٢) (الصِّل) هكذا وردت في النسختين.

وهي (بكسر الصاد) الحيّة التي لا تنفع فيها الرقية، ومنه قالوا: فلان صل مطرق.

وبه وصف إمام الحرمين تلميذه أبا المظفر أحمد بن محمد الخوافي، وكان علاّمة أهل طوس نظير الغزالي، وكان عجيباً في المناظرة رشيق العبارة توفي سنة ٥٠٠هـ.

انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٢/٥٦.

خط واحد فاجتمعت النظرتان مات الإنسان من ساعته [بالخاصية][1].

فاعلم (أن الله تعالى كان ولا شيء معه[2]، وهو الآن على ما عليه كان)[3] وقد سبق في علمه أن يكتمل الوجود العرفاني لظهور آثار الأسماء الإلهية والنسب والإضافات لا أن يكمل هو بذلك تعالى اللّه علواً كبيراً فهو الكامل على الإطلاق.

ومعنى قولي: ليكمل الوجود.

فنعطيك لذلك مثالاً واحداً وبه تستدل على ما بقي، وذلك أن العقل في الحقيقة يقسم الوجود إلى ما له أوَّل، وإلى ما لا أول له، وهو كمال الوجود. فإذا كان ما لا أوّلَ له موجوداً وهو الله تعالى، والذي لم يكن ثم كان ويقبل الأولية ليس بموجود، فما كمل الوجود ما لم يكن هذا موجوداً.

وكذلك قوله تعالى لبعض أنبيائه، وقد سأله:

«لِمَ خلقت الخلق؟

فقال: كنت كنزاً مخفياً لم أُعرف فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق وتعرَّفت إليهم فعرفوني»[4].

وذلك أن العلم بالله ينقسم إلى قديم وإلى محدث.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من المطبوعة.

(٢) جاء في المطبوعة [وهذا نص الخبر النبوي، وزاد علماء الشريعة فيه] فهذه الزيادة مدرجة من كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا يعرفها كل واحد.

(٣) حديث: (إن الله تعالى كان ولا شيء معه...).

رواه ابن حبان، والحاكم، وابن أبي شيبة عن بريدة (رضي الله عنه)، وفي رواية: (ولا شيء غيره)، وفي رواية (ولم يكن شيء قبله). قال القاري: ثابت ولكن الزيادة وهي قوله (وهو الآن على ما عليه) وهي من كلام الصوفية!! هكذا قال القاري ثم قال: ويشبه أن يكون من مفتريات الوجودية القائلين بالعينية، وقد نص ابن تيمية كالحافظ العسقلاني على وضعها، وإن صحّت فتأويلها أنه تعالى ما تغيّر بحسب ذات الكمال وصفات الجلال عما كان عليه. انظر العجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (١١ - ٢) ١٣٠/٢ وفيه تفصيل.

(٤) حديث: (كنت كنزاً مخفياً...) الحديث.

ورد في المخطوط (كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف) وهي رواية أوردها العجلوني في كشف الخفاء، وقال: قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلىء والسيوطي وغيرهم.

وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ أي: ليعرفون كما فسره ابن عباس - رضي الله عنهما.

انظر الحديث رقم (٢٠١٦) من كشف الخفاء للعجلوني ١٣٢/٢.

فعَلِمُ الله نفسه وألوهيته بالعلم القديم، ونقص من مراتب الوجود العلمي العلم المحدث، فخلق الخلق فتعرَّف إليهم فعرفوه، بقدر ما يعطيه استعدادهم فوجدَ العلم المحدث، فكملت مراتب العلم بالله في الوجود، لا أن الله تعالى يكمل بعلم[1] العباد.

وبعد أن تقرَّر هذا وثبت فلنقل: (إن الله كان ولا شيء معه)[2]، وهو يعلم ويريد بقاء المعدوم في العدم، أي: موصوفاً بالعدم، ويكلّم نفسه بنفسه ويسمع كلامه، ويرى ذاته، وهو الحي، بذاته سبحانه.

فهذه الأسماء والنسب[3] هي التي نزل حكمها أزلاً. وأمّا كونه قادراً، ورازقاً، وخالقاً ومبدعاً فبصلاحية[4] الإيجاد، وما بين الوجودين امتداد ولكن الارتباط بين الوجدين ارتباط المحدث بالقديم[5]، على الوجه الذي يليق بالجلال، فتجلى الحق سبحانه بنفسه لنفسه بأنوار السُّبُحات[6] من كونه عالماً ومريداً، فظهرت الأرواح المهيّمة بين الجلال والجمال، وخلق في الغيب المستوى الذي لا يمكن كشفه لمخلوق، العنصر الأعظم وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي، إذ لا سبيل إلى ذلك وما منهم روح يعرف أن ثم سواه لفنائه في الحق[7] واستيلاء سلطان الجلال عليه، ثم إنه سبحانه أوجد دون هؤلاء الأرواح بتجلٍ آخر، ومن غير تلك المرتبة، فخلق أرواحاً متحيزة في أرض بيضاء، خلقهم عليها، وهيّمهم فيها بالتسبيح والتقديس لا يعرفوا أن الله خلق سواهم، ولاشتراكهم مع الأول في نعت الهيمان، لذلك لم نفصّل وقلنا الأرواح المهيمة على الإطلاق، وكل منهم على مقام من العلم بالله والحال، وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة، وسميت أرضاً نسبة[8] مكانية لهذه الأرواح المتميزة، لا يجوز عليها الانحلال ولا التبدل، فلا تزال كذلك أبد الآباد، كما سبق في العلم.

وللإنسان في هذه الأرض مثال، وله حظ فيهم، وله في الأرواح الأوّل مثال آخر، وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم. ثم نقول:

[إنَّا ما أوردنا شيئاً مما ذكرناه أو نذكره من جزئيات العالم إلاّ واستنادنا فيه إلى خبر نبويّ

(١) هذه اللفظة (بعلم) سقطت من النسخة المخطوطة.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٣) في النسخة المطبوعة [فهذا الأسماء والنِّسب وهو الحي، العالم، السميع، البصير، المتكلم، المريد] زيادة.

(٤) في المطبوعة: (فبالصلاحية والقوة).

(٥) في المخطوطة: (المحدث والقديم).

(٦) في المطبوعة: (بأنوار السُّبُحات الوجهية).

(٧) في المطبوعة: (في الحق بالحق).

(٨) في المطبوعة: (لنسبة).

يُصحّحه الكشف، ولو كان ذلك الخبر مما تُكلّم في طريقه، فنحن لا نعتمد فيه إلاّ على ما يخبر به رجال الغيب (رضي الله عنهم) ثم نرجع][1].

ونقول:

إن هذا العنصر الأعظم المخزون في عالم الغيب[2] له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير، ولا وجود لذلك العالم في العين، وهذا العنصر أكمل موجود في العالم، فلولا عهد الستر الذي أخذ علينا في [بيان][3] حقيقته لبسطنا الكلام فيه، وبيّنا كيفية تعلق كل ما سوى اللّه به، فأوجد الله سبحانه [على ما قال الوارد الشاهد][4] عند تلك الالتفاتة العقل الأول. وقيل فيه أول لأنه أول عالم التدوين والتسطير. والالتفاتة إنما كانت للحقيقة الإنسانية من هذا العالم، فكان المقصود فخلق القلم[5] وغيره إلى أسفل عالم المركز أسباباً مقدمة لترتيب نشأته كما سبق في العلم ترتيبه، ومملكته قائمة القواعد، فإنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله. فلا بد من تقديم[6] وجود العالم عليه وأن يكون هو آخر موجود بالفعل، وإن كان أول موجود بالقصد كمن[7] طلب الاستظلال والاستكنان فوقعت فكرته على السقف ثم انحدر[8] إلى الأساس فكان الأساس آخر مقصود بالعلم، وأول موجود بالفعل[9] [وكان السقف أول معلوم بالقصد وآخر موجود بالفعل][10].

فعينُ الإنسان هي المقصودة، وإليه توجهت العناية الكلّية فهو عين الجمع والوجود، والنسخة العظمى، والمختصر الشريف الأكمل في مبانيه.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٢) في المطبوعة: (في غيب الغيب).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٥) في المطبوعة (القفل).

(٦) في المطبوعة (تقدُّم).

(٧) في المخطوطة (لمن).

(٨) في المخطوطة (ثم الجدار).

(٩) في المخطوطة (وأول موجود بالقصد، وآخر موجود بالفعل).

(١٠) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

باب: في خلق العقل الأول وهو القلم الأعلى

فأوّل ما أوجد اللّه من عالم العقول المدبّرة جوهر بسيط[1] ليس بمادة، ولا في مادة، عالم بذاته [في ذاته علمه ذاته][2] لا صفة له. مقامه الفقر والذلة والاحتياج إلى بارئه، وموجده ومبدعه، له نسب وإضافات ووجوه كثيرة. لا يتكثر[3] في ذاته بتعددها فيّاض بوجهين من الفيض: فيض ذاتي، وفيض إرادي.

فما هو بالذات مطلقاً لا يتصف بالمنع في ذلك، وما هو بالإرادة فإنه يوصف فيه بالمنع والعطاء. وله افتقار ذاتي لموجده سبحانه الذي استفاد منه وجوده. وسماه الحق سبحانه وتعالى، في القرآن: حقاً، وقلماً، وروحاً.

وفي السُّنّة: عقلاً.

وغير ذلك من الأسماء، وقد ذكرنا أكثرها في كثير من كُتبنا.

قال تعالى:

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلاّ بالحق﴾[4].

وهو أول عالم التدوين والتسطير، وهو الخازن الحفيظ[5] الأمين على اللطائف الإنسانية

---

(١) في المخطوطة: (جوهراً بسيطاً) وهي تجوز إذا اعتبرناها مفعولاً للفعل أوجد، ولكن الأفضل هنا أن يكون خبراً للمبتدأ (أول).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٣) في المخطوط (لا تكثر).

(٤) الآية رقم (٨٥) من سورة الحجر.

(٥) في المطبوعة: (الحفيظ العليم الأمين).

الذي(١) من أجلها وُجِدَ، ولها قُصِدَ. ميّزها في ذاته عن سائر الأرواح تمييزاً(٢) إلهيّاً، عَلِمَ نفسه، فعلِمَ موجده، فعلم العالم، فعلم الإنسان.

قال رسول اللّه (صلى الله عليه وسلم):

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ ربَّه»(٣).

لسان إجمال.

والحديث الآخر:

«أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه»(٤).

لسان تفصيل. فهو العقل من هذا الوجه، وهو القلم من حيث التدوين [والتسطير](٥)، وهو الروح من حيث التصرف، وهو العرش من حيث الاستواء، وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء ورقائقه التي تمتد إلى النفس إلى الهباء، إلى الجسم، إلى الأفلاك الثابتة إلى المركز، إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة، إلى الحركات، إلى المولدات، إلى الإنسان، إلى انعقادها في العنصر الأعظم وهو أصلها (ستة وأربعون ألف ألف رقيقة، وستمائة ألف رقيقة، وستة

---

(١) في المطبوعة (التي).

(٢) في المخطوطة (تميزاً).

(٣) حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه).

قال ابن تيمية: موضوع، وقال النووي قبله ليس بثابت، وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع: إنه لا يُعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله، وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت قال: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره، وقد ذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محيي الدين قال: هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه (القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه) وقال النجم قلت وقع في أدب الدنيا والدين للماوردي عن عائشة سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) (من أعرف الناس بربه، قال: أعرف بنفسه) هكذا أورد العجلوني ما قيل عنه.

انظر: **كشف الخفاء** ٢٦٢/٢ حديث رقم (٢٥٣٢) وقال الصاغاني موضوع.

وقال الشيخ محمد الحوت البيروتي في أسنى المطالب: ليس بحديث، ونسبه بعضهم إلى أبي سعيد الخراز.

انظر موضوعات الصاغاني والهامش ص ٣٤ وتعليقات مخرج الحديث.

وانظر هامش منارات السائرين الأحاديث. حديث رقم (١٨٩).

(٤) حديث: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه).

انظر تخريج الحديث السابق وقول السيدة عائشة - رضي الله عنها.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

وخمسون ألف رقيقة)[١] ولا يزال هذا العقل متردداً بين الإقبال والإدبار، يقبل على بارئه مستفيداً فيتجلى له فيكشف في ذاته من بعض ما هو عليه، فيعلم من بارئه قدْر ما علم من نفسه، فعلمه بذاته لا يتناهى، فعلمه بربه لا يتناهى، وطريقة علمه به التجليات[٢]، وطريقةُ علمِهِ بربه علْمُهُ به[٣]، ويُقبِلُ على من دونه مفيداً هكذا أبد الآباد في المزيد. فهو الفقير، الغني، العزيز الذليل العبد السيّد، ولا يزال الحق يُلهمه طلب التجليات لتحصيل المعارف. واستواء هذا الاسم عليه كان من أحد العروش، فاذكُرُ العروش[٤].

---

(١) سقط من المخطوط (ستمائة ألف رقيقة).

(٢) في المخطوطة: (وطريقة علمه بالتجليات).

(٣) في المخطوطة: (وطريقة علمه به ويقبل على من دونه).

(٤) في المخطوطة: (فاذكر العُرُش) وما أثبتناه هو الصحيح.

باب: في ذكر العُرُوش(*)

اعلم

أن العروش خمسة: عَرْشُ الحياة وهو عرش الهوية، وعرْشُ الرحمانية، والعرش العظيم، والعرش الكريم، والعرش المجيد.

(*) في المخطوطة (العرش) وفي المطبوع (العُرش) وما أثبتناه هو الصحيح.

والعرشُ لُغَةً هو: سريرُ المَلِك ﴿وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾ والعَرْشُ: البيت. وقد يستعار لغيره وفي الحديث: روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، والعَرْشُ: لا يُقْدَرُ قدرُهُ ورُوي عنه أيضاً أنه قال: (العرْشُ: مجلس الرحمن).

وعرْشُ الرجل: قوامُ أمْرِهِ منه

والعَرْشُ المُلْكُ.. وله معانٍ كثيرة (انظر **لسان العرب مادة: عرش**).

وعند الصوفية يقول الجيلي في الإنسان الكامل: هو مظهر العظمة ومكانة التجلي، وخصوصية الذات، ويُسمّى جسم الحضرة، ومكانها، لكنه المكان المنزّه عن الجهات الست وهو المظهر الأعلى والمحل الأزهى، والشامل لجميع أنواع الموجودات فهو في الوجود المطلق كالجسم للوجود الإنساني باعتبار أن العالم الجسماني شامل للعالم الروحاني والخيالي والعقلي. ولهذا عبّر عنه بعض الصوفية بأنه الجسم الكلي وفيه نظر، لأن الجسم الكلي وإن كان شاملاً لعالم الأرواح فالروح فوقه والنفس الكلي فوقه، ولا نعلم أن في الوجود شيئاً فوق العرش إلاّ الرحمن، وقد عبروا عن النفس الكلي بأنها اللوح، فهذا حكم بأن اللوح فوق العرش وهو خلاف الإجماع على أن من قال من أصحابنا الصوفية: إن العرش هو الجسم الكلي، لا يخالفنا أنه فوق اللوح، وقد عبّر عنه بالنفس الكلي، ولا شك أن مرتبة النفس أعلى من مرتبة الجسم، والذي أعطانا الكشف في العرش مطلقاً إذا أنزلناه في حكم العبارة قلنا بأنه فلك محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية. سطح ذلك الفلك هي المكانة الرحمانية ونفس هوية ذلك الفلك هو مطلق الوجود عينياً كان أو حكمياً، ولهذا الفلك ظاهر وباطن، فباطنه عالم القدس، وهو عالم أسماء الحق سبحانه وتعالى وصفاته، وعالم القدس ومجلاه هو المعبرَ عنه بالكثيب الذي يخرجون إليه أهل الجنة، يوم سوقهم لمشاهدة الحق وظاهره عالم الإنس، وهو محل التشبيه والتجسيم والتصوير ولهذا كان سقف الجنة. فكل تشبيه، وتجسيم، وتصوير من كل جسم أو روح، أو لفظ، أو معنى، أو حكم، أو عين فإنه ظاهر هذا الفلك.

فمتى قيل لك العرش مطلقاً، فاعلم أن المراد به هذا الفلك المذكور، ومتى قيّد بشيء من الصفات فاعلم أن المراد به ذلك الوجه من هذا الفلك كقوله: العرش المجيد. فإن المراد به من عالم القدس المرتبة الرحمانية التي هي منشأ المجد، وكذلك=

فَعَرْشُ الحياة: هو عرش المشيئة، وهو مستوى الذات، وهو عرش الهوية.

قال اللّه تعالى:

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[1]

وقال فيه: ﴿وكان عَرْشُه على الماء﴾[2].

أي: أظهر الحياة فيكم ﴿ليبلوكم﴾[3].

وكذلك قال تعالى في موضع آخر:

﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم﴾[4].

فجعل ليبلوكم إلى جانب الحياة، فإن الميّت لا يُختبر. وهو قوله:

﴿على الماء ليبلوكم﴾.

وهو قوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ﴾.

فهو العنصر الأعظم، أعني فلك الحياة، وهو اسم الأسماء، ومقدّمها وبه كانت وقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ من حيث هو حيّ لا من حيث هو جوهر.

والعرش المجيد: هو العقل الذي ذكرناه.

والعرش العظيم: النفس، وهو اللوح المحفوظ الذي نذكره بعد هذا، إن شاء الله تعالى. ويتلوه العرش الذي هو **عرش الرحمانية** وهو فلك الأفلاك[5]، ويتلوه **العرش الكريم** وهو الكرسي، وسنذكر هذه كلها من أماكنها إن شاء الله تعالى.

= العرش العظيم فإن المراد به الحقائق الذاتية والمقتضيات النفسانية التي مكانتها العظمة وذلك من عالم القدس.

وعالم القدس: عبارة عن المعاني الإلهية المقدسة عن الأحكام الخلقية والنقائص الكونية.

واعلم أن الجسم في الهيكل الإنساني جامع لجميع ما تضمنه وجود الإنسان من الروح والعقل والقلب وامثال ذلك، فهو في الإنسان نظير العرش في العالم، فالعرش هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته ـ وبهذا الاعتبار قال أصحابنا: إنه الجسم الكلي، ولا اختلاف بيننا لاتحاد المعنى في العبارتين. انظر الجيلي: **الإنسان الكامل** ٦/٢ .

(١) الآية رقم (٣٠) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية رقم (٧) من سورة الأنبياء.

(٣) استكمال الآية السابقة.

(٤) الآية رقم (٢) من سورة الملك.

(٥) من المخطوط: (أول الأفلاك).

باب: في العرش العظيم وهو اللوح المحفوظ

وهو النفس الناطقة الكلية الثابتة

[ولـمَّا أوجد اللّه سبحانه القلم الأعلى أوجد له في المرتبة الثانية][١] هذه النفس التي هي اللوح المحفوظ، وهي من الملائكة الكرام، وهو المشار إليه بكل شيء في قوله[٢] تعالى:

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾[٣] وهو اللوح المحفوظ.

﴿موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾[٣] وهو اللوح المحفوظ.

وقال تعالى:

﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾[٤].

فهو موضع تنزيل الكتب، وهو أول كتاب سطر فيه[٥] الكون، فأمر القلم أن يجري على هذا اللوح بما قدّره وقضاه مما كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أول موجود. وإيجاد الأرواح المهيمة في جلال اللّه تعالى وجماله، الذين لا يعرفون العقل ولا غيره، ولا يعرفون سوى من هاموا في جلاله، وطاشوا[٦] بمشاهدته، شهودهم دائم، ليس لهم لحظة إلى ذواتهم، ولا رجعة

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٢) في المخطوطة: (قال تعالى).

(٣) الآية رقم (١٤٥) من سورة الأعراف.

(٤) الآيتان (٢١، ٢٢) من سورة البروج.

(٥) في المخطوطة (سطره الكون).

(٦) في المخطوطة (وشاطوا).

إليهم، أفناهم فناء الأبد. عبدوا الله لحقّه لا من حيث أمْره، وعلى قلوب هؤلاء الأرواح هم الأفراد منّا، الخارجون عن دائرة القطب، ومِمّا يكون إلى أن يقال:

﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾[1].

ويُذْبَحُ الموت، ويقوم منادي الحق على قدم الصدق:

(يا أهل الجنة خلود فلا خروج) في النعيم الدائم الجديد.

(ويا أهل النار خلود فلا خروج) في العذاب المقيم الجديد[2].

إلى هنا حدّ الرقم بما بينهما، وما بعد هذا فله حكم آخر، إن يمكن لنا أن نذكره في أثناء كلامنا كان، وإن لم يجز منّا عليه لسان ذكر فلا حاجة لنا [في التعريف به][3].

فهذا اللوح محل الإلقاء العقلي، هو للعقل بمنزلة حواء لآدم (عليه السلام) وسمّيت نفساً لأنها وجدت من نَفَس الرحمن[4]، فنفّس الله بها عن العقل إذ جعلها محلاً لقبول ما يلقى إليها ولوحاً لما يسطره فيها. وليس فوق القلم موجود[5] مُحدَث يأخذ منه، يعبّر عنه بالدواة، وهي النون كما ذكر بعضهم، وإنما نونه التي هي الدواة عبارة عما يحمله في ذاته من العلوم بطريق الإجمال من غير تفصيل، فلا يظهر لها تفصيل إلاّ في اللوح[6] الذي هو اللوح [المحفوظ][7]. فهو محل التجميل[8]، والنفس محل التفصيل. وهذا القلم له ثلاثمائة [وستون سناً من حيث ما هو القلم، وثلاثمائة وستون وجهاً ونسبة من حيث ما هو عقل، وثلاثمائة وستون][9] لساناً من حيث ما هو روح مترجم عن الله، ويستمد كل سن من ثلاثمائة[10]

---

(١) الآية رقم (٧) من سورة الشورى.

(٢) حديث: (يؤتى بالموت يوم القيامة...).

أورده صاحب **الأحاديث القدسية** وقال:

أخرجه ابن ماجة في سننه باب صفة النار ٢/٣٠٥. وجاء ذبح الموت أيضاً في حديث الترمذي باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار.

انظر **الأحاديث القدسية** الحديث رقم (٣٨٤) ٢/٤٠٥ باب ما جاء في ذبح الموت يوم القيامة.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٤) في النسخة المخطوطة (لأنها وجدت من الرحمة).

(٥) في النسخة المخطوطة (موجد).

(٦) في النسخة المخطوطة (النفس).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٨) أي: الإجمال.

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(١٠) في المخطوطة (ثلثمائة فقط).

وستين بحراً، وهي أصناف العلوم، وسميت بحراً لاتساعها وهذه البحور هي إجمال الكلمات التي لا تنفد، ولها جاء المثل في القرآن:

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾(١).

لأن غاية كل نقطة من البحر أن تكتب بها عين ذاتها لا غيره، وتبقى الأقلام وجميع المخلوقات الكائنة في الآن، والماضية، والمستأنفة وهذا الملك الكريم الذي هو اللوح، هو أيضاً قلم لما دونه، وهكذا كل فاعل ومنفعل لوح وقلم(٢). ولهذه النفس من الرقائق والوجوه على عدد ما للعقل، وجعل الله أمر التركيب، وعالم الأجسام، والإنشاءات كلها بيد هذا الملك الكريم، فإذا اعتدلت المباني واستوت [المعاني](٣) وتصورت نشآتها نورانية كانت أو نارية، أو ظلمانية، أو شفّافة كان القلم الأعلى واهب الأرواح فيها التي جعله(٤) الله أميناً عليها، وهو فيض عجيب ذاتيّ له، وإرادي للّه تعالى، ولهذا الملك الكريم نسبتان:

- نسبة نورانية وهو مما يلي العقل الكريم.
- ونسبة ظلمانية وهو ممّا يلي الهباء. بحر الطبيعة. وهي في نفسها خضراء لهذا الامتزاج الدقيق العجيب وقد استوفينا ذكرها وصفتها في «كتاب النفس»، وهو كتاب «الزمردة الخضراء»(٥). وذكرنا أيضاً مقام القلم الأعلى في كتاب مفرد سميناه «الدرة البيضاء»(٦) والمقصود من هذا الكتاب: كيف كان تمهيدُ المملكة لوجود الخليفة الذي هو الإنسان.

والّله أعلم

(١) الآية رقم (٢٧) من سورة لقمان.
(٢) في النسخة المخطوطة (لوحاً وقلماً).
(٣) سقطت من النسخة المخطوطة.
(٤) في النسخة المخطوطة (جعلها).
(٥) لم يطبع بعد.
(٦) طبع على نفقة صالح مراد الهلالي سنة ١٩٢٣ طبعة أولى.

باب: العرش الرحماني الجامع للموجودات الأربعة وهي الطبيعة، والهباء، والجسم، والفلك

مِـــثْـــلُ مَـــا لاَحَ لِـــعَـــيْنٍ فـــي الـــهَـــوَى بَـــرْقٌ يَمَـــانـــي

ثم أوجد الله سبحانه وتعالى الهباء، فأوّل صورة قبل صورة الجسم هو الطول والعرض والعمق فظهرت فيه الطبيعة. فكان طوله من العقل وعرضه من النفس، وعمقه الخلاء إلى المركز. فلهذا كانت فيه هذه الثلاث حقائق، فكان مثلّثاً وهو الجسم الكلي.

وأوّل شكل قَبِلَ هذا الجسم الشكل الكريّ، فكان الفلك فسماه العرش، واستوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن بالاستواء الذي يليق به، الذي لا يعلمه إلاّ هو من غير تشبيه ولا تكييف وهو أول عالم التركيب، فكان استواؤه عليه من العماء وهو عرش الحياة، وهو العرش السادس، وهو عرش نسبي ليس له وجود إلاّ بالنسبة، ولذلك لم نجعله في العروش، وهذا البحر هو البحر[1] الفاصل بين الحق والخلق، وهو حجاب العزّة لنا وله، فمن أراد مِنَّا الوصول إليه وقع في هذا البحر فينسب الفعل للكون وما بيد الكون من الفعل شيء، بل الفعل كله للواحد القهار، وإذا أراد هو الوصول إلينا بما هو عليه.

وقولنا ـ إذا أراد ـ مجازاً لا حقيقة بل هي إشارة لتوصيل معنى يجب أن يُفْهَم عنا كان نزوله إلينا بنا فقيل: ينزل، واستوى، واللّه يفرح بتوبة عبده، ويضحك ربُّنا، ويتعجّب ويتبشبش، واللّه يستهزىء بهم، وما أشبه هذا، كالمكر، والكيْد وجعل سبحانه لهذا العرش حَمَلَة ثمانية يحملونه يوم القيامة، وأما اليوم فيحمله منهم أربعة:

ـ الملك الواحد على صورة إسرافيل.

ـ والثاني على صورة جبرائيل.

(١) في المخطوطة (وهذا البحر الفاصل).

- والثالث على صورة ميكائيل.
- والرابع على صورة رضوان.
- والخامس على صورة مالك.
- والسادس على صورة آدم.
- والسابع على صورة إبراهيم.
- والثامن على صورة محمد (صلى الله عليه وسلم).

هذه صور مقاماتهم لا صور نشآتهم.

قال «ابن مَسَرَّة الجيلي»[1] رحمه الله؛ في هؤلاء لما ذكرهم، كما ذكرناهم:

- فإسرافيل وآدم للصور.
- وجبرائيل ومحمد (صلى الله عليه وسلم) للأرواح.
- وميكائيل وإبراهيم للأرزاق.
- ورضوان ومالك للوعد والوعيد.

ويكون العرش عند هذا عبارة عن الملك، وعمَّر سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحافّين، وهم الواهبات، وهنا مقام إسرافيل (عليه السلام) وهو فمّ القرن، وبمشاهدة هذا الاستواء يصير كذا وكذا مرّة في اليوم كالوضع من استيلاء سلطان العظمة الإلهية على قلبه، ومن هنا سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صريف الأقلام، ومن هنا نزل الرفرف، ومن هنا غلبت عليه حالة الفناء فتجرَّد عن عالم التركيب، ومن هنا نودي بصوت أبي بكر الصدّيق، تأنيساً له إذ كان أنيسه:

- قف إن ربَّك يُصَلّي عليك.

ثم تلا عليه:

﴿هو الذي يُصَلّي عليكم وملائكته﴾[2].

---

(١) (ابن مسرة الجيلي) هو: محمد بن عبد الله بن مسرة (أبو عبد الله) الصوفي، من أهل قرطبة. اتهم بالزندقة، ثم انصرف إلى الأندلس. ثم توفي سنة ٣١٩هـ.
انظر ترجمته في: كحالة: **معجم المؤلفين** ٢٤٨/١٠.
الزركلي: **الإعلام**: ٩٥/٧.
بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي** ٥٤٨/٢.

(٢) الآية رقم (٤٣) من سورة الأحزاب.

وهو أحد الحجب الثلاثة، التي تبقى بين أهل الجنة وبين الحق إذا جُمعوا للرؤية، وهو آخر الحُجُب.

والفلكان اللذان بعده ها نحن نذكرهما إن شاء الله تعالى.

باب: العرش الكريم وهو الكرسيّ موضع القدمين

ثم إن الله تعالى أدار هذا الفلك الآخر سمّاه: الكرسي، وهو في جوف العرش كحلقة مُلْقاة في فلاة من الأرض، وخلق بين هذين الفلكين عالم الهباء، وعَمَّر هذا الكرسي بالملائكة المدبّرات وأسكنه ميكائيل وتدلَّتْ[1] إليه القدمان، فالكلمة واحدة في العرش لأنه أول عالم التركيب، وظهر لها في الكرسي نسبتان لأنه الفلك الثاني فانقسمت به الكلمة فعُبِّر عنها بالقدمين كما ينقسم الكلام، وإن كان واحداً إلى[2] أمْرٍ ونهي، وخبر واستخبار. وعن هذين الفلكين تحدث الأشكال الغريبة في عالم الأركان، وعنها يكون خرق العوائد على الإطلاق، وهي من الأشكال الغريبة لا يُعرف [أصلها، وهو هذا][3]، وتظهر في عالمين:

[- في عالم الخيال، كقوله تعالى:

﴿يُخيَّلُ إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[4]][5].

- وفي عالم الحقيقة، مثل المعجزات والكرامات.

وهذان الفلكان قَلَّ مَنْ يعثر عليهما، أو يصل إليهما من أصحابنا إلاّ الأفراد، وكذلك من أرباب علماء الهيئة والأرصاد، وإذا رأوا شكلاً غير معتاد في الطبيعة نسبوا ذلك إلى شكل

---

(١) في النسخة المخطوطة (ونزلت).

(٢) في المخطوطة (من).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٤) الآية رقم (٦٦) من سورة طه.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

غريب حَدَث في الفلك عنه صدر هذا [الذي هو غير معتاد][1]، لا يجري على قياس ومن هذين الفلكين كانت الخواص في الأشياء وهي الطبيعة المجهولة فيقولون تُفْعَل بالخاصيّة، فلو أدركوا حركة هذين الفلكين لم يصح لهم أن يجهلوا شيئاً في العالم، وقد ذكرنا من عالم التدبير القلم واللوح والطبيعة والهباء والجسم والعرش والكرسي، وما بينهما من العوالم.

لأن في كل فلك من الأفلاك، وفي كل ركن من الأركان عالَم من جنس كل فلك، وركن، وطبيعة، وهُم عُمّارها وسكانها ﴿يُسَبّحون الليل والنهار لا يفترون﴾[2] لأنهم لا يلحقهم في ذلك عيّ ولا نَصَبٌ، فإن نسبة التسبيح إليهم نسبة الأنفاس إلينا تقتضيها نشأتهم كما تقتضي نشأتنا الأنفاس.

قال تعالى:

﴿وإن من شيءٍ إلاّ يُسَبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[3].

من جهة الفكر والنظر إلاّ أن يَمُنّ الله على بعض عباده بعلم ذلك.

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٢) في المخطوطة يسبحون الله.

والصحيح ما أثبتناه وهو نص الآية (٢٠) من سورة الأنبياء وما بعد هذه الآية سقط من المخطوطة إلاّ جزء من الآية ﴿وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده﴾.

(٣) الآية رقم (٤٤) من سورة الإسراء.

باب: فَلَكُ البروج وهو الأطلس

ثم أدار سبحانه في جوف هذا الكرسي هذا الفلك وهو الأطلس. قال تعالى: ﴿والسماءِ ذاتِ البروج﴾[1]. وهي تقديرات في الفلك الأطلس الذي لا كوكب فيه، ولهذا سُمّي بالأطلس، وهو بالنسبة إلى الكرسي كنسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، وخلق بين هذين الفلكين عالم الرفارف، وهي المعارج العُلا، وفيه خلق عالم المُثُل الإنسانية.

وتسبيحهم:

(سبحان من أظهر الجميل وسَتَر القبيح)[2].

وسببُ هذا التسبيح أن الشّخص منّا إذا فعل فعلاً لا يرضي الله تعالى تغيّرت صورة مثاله في هذه الحضرة، فيُرسَل الحجاب بينه وبين من فيها حتى لا يرون ما قام بها من التغيير، فإذا أقلع عن المخالفة رجعت إليه صورته فلا يرون منه إلاّ حسناً. فلهذا يكون تسبيحهم: (سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح) هكذا رُوينا هذا الخبر، وهو عالم الحجب وإرخاء الستور وفي هذا الفلك مقام جبرائيل، وفيه الملائكة المقسّمات وعمّاره، وإلى هذا الفلك ينتهي علم علماء الأرصاد أكثرهم، بل ربما كلهم ولا كوكب فيه، والبروج فيه تقديرات فهو منقسم على ذلك

---

(١) الآية رقم (١) من سورة البروج.

(٢) انظر حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في قوله: **(سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر يا عظيم العفو، ويا حسن التجاوز، ويا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، ويا سامع كل نجوى، ويا منتهى كـل شكوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المن يا مقيل العثرات، ويا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها. يا ربي ويا سيدي ويا مولاي، ويا غاية رغبتي، أسألك ألاّ تشوه خلقتي ببلاء الدنيا ولا بعذاب النار). آمين.**

وقد جعله سيدي ومولاي أحمد بن محمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية من أوراده المعروفة في الطريق فهذا أيضاً تسبيح أهل الأرض، وهو تسبيح أهل السماء. انظر إلى عظمة المصطفى الحبيب (صلى الله عليه وسلم).

اثني عشر قسماً، جعل في كل قسم ملكاً من الملائكة وهو رئيس ذلك القسم، وتحفُّ به ملائكة من المقسمات[١]، وأنشأهم على صور مختلفة وسُمُّوا بأسماء صورهم في عالمنا:

فالملك الأول: على صورة الميزان، وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك حارٌ رطبٌ، وولّاه الحكم في عالم التكوين ستّة آلاف سنة، ثم ينتقل الحكم إلى غيره إلى أن ينتهي إليه فيمكث هذه السنين المعلومة، وهو أول فلك دار بالزمان وفيه حدثت الأيام دون الليل والنهار، وكان أول حركة الزمان بهذا الفلك[٢]، وقد استدار في زمان رسول الله(صلى الله عليه وسلم) [ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):][٣]

«**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله**»[٤].

وجعل بيد هذا الملك مفتاح خلق الأحوال والتغييرات، والزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وأحدث فيه الليل والنهار وهو متحرك.

والملك الثاني: على صورة «العقرب»، وطبيعة بيته، الذي هو قسمه من هذا الفلك باردٌ رطبٌ، وولّاه الحكم في عالم التكوين خمسة آلاف سنة كلما جاءت دولته، وجعل اللّه بيده خلق النار، وهو ساكن.

والملك الثالث: الذي يليه على صورة «القوس»، وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك حار يابس وولّاه الحكم في عالم التكوين أربعة آلاف سنة كلما جاءت دولته، وهو ملك كريم بيده أزمة الأجساد النورانية والظلمانية، وجعل بيده مفتاح خلق النبات.

والملك الرابع: خلقه اللّه على صورة «جَدْي»، وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا بارد يابس، وولّاه الحكم في عالم التكوين ثلاثة آلاف سنة وهو ملك متحرك وجعل الله بيده مفتاح الليل والنهار.

والملك الخامس: خلقه اللّه تعالى على صورة «دلْو»، وجعل طبيعة بيته الذي هو قسمه من

---

(١) في النسخة المخطوطة (من الملائكات الملكيات).

(٢) في المخطوطة (وكانت أول حركته بالزمان بهذا الملك).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٤) حديث: (**إن الزمان قد استدار كهيئته...**).

أورده السيوطي طويلاً في **جامع الأحاديث** وقال: رواه البخاري ومسلم، وأحمد بن حنبل، وأبو داود عن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما.

حديث رقم (٦١ - ٧) ٦٥١/٢.

هذا الفلك حاراً رطباً وجعل ولايته أَلْفَي سنة، وهو ملك كريم، عليه سكون ووقار وهيبة وجعل بيده مفتاح الأرواح.

والملك السادس: خلقه الله على صورة «حوت» وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً رطباً، وجعل دولته ألف، وله اشتراك مع ملك الأجسام النورانية والظلمانية فيهما، وجعل بيده مفتاح خلق الحيوان.

والملك السابع: خلقه الله على صورة «كبش»، وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً يابساً، وجعل دولته اثني عشر ألف سنة، وهو ملك متحرك، وجعل بيده مفتاح خلق الأعراض والصفات.

والملك الثامن: خلقه الله تعالى على صورة «ثور» وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً يابساً، وجعل دولته أحد عشر ألف سنة، وهو ملك عليه وقار وهيبة، وعليه عمل السامريّ العجل وظنه لما رآه إلهَ موسى (عليه السلام) في حديث طويل، ليس هذا موضعه، وجعل بيده مفتاح خلق الجنة والنار[١].

والملك التاسع: خلقه الله تعالى على صورة «توأمين»، وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً رطباً، وجعل دولته عشرة آلاف سنة، وله اشتراك مع ملك الأجسام فيها، وجعل بيده مفتاح خلق المعادن.

والملك العاشر: خلقه الله تعالى على صورة «سرطان» وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً رطباً، وجعل دولته تسعة آلاف سنة، وهو ملك متحرك، وجعل بيده مفتاح خلق الدنيا.

والملك الحادي عشر: خلقه الله على صورة «أسد»، وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً يابساً وجعل دولته ثمانية آلاف سنة، وهو ملك كريم تعلوه مهابه، وجعل بيده مفتاح خلق الآخرة.

والملك الثاني عشر: خلقه الله تعالى على صورة «سُنْبُلة»، وجعل قسمه بارداً يابساً، وجعل دولته سبعة آلاف سنة، وله اشتراك مع ملائكة الأجسام، وله اختصاص معيّن بالأجسام الإنسانية.

وكَمَل الفَلَك وكَمَل عالم التكوين.

- فَعَنِ الأسد، والقوس، والحَمَل، وُجِدَت كُرَةُ الأثير.
- وعن الجوزاء، والميزان، والدلو، وجدت كرةُ الهواء.

---

(١) في النسخة المخطوطة (وجعل بيده مفتاح الجنة).

- وبالسرطان، والعقرب، والحوت، وُجدت كرة الماء.

- وبالثور، والسنبلة، والجدي، وجدت كرة الأرض.

ومن هذا الفلك إلى المركز حكم الطبيعة بالتغيير والاستحالات والكون والفساد عند قبول المستعد لذلك بالاستعداد، الذي خلقه الله فيه، وبوجود هذا الفلك حدثت الأيام كما ذكرنا دون الليل والنهار، وقد ذكرنا ذلك في كتاب «الشأن»(١).

فدار هذا الفلك بتقدير العزيز(٢): عن أحكام تأثيره فيه العليم: بما وضعه له من الحكمة البالغة، وهو الفاعل سبحانه لكل شيء، وهذه أسباب نصبها سبحانه لما سبق في علمه، وليبتلي بها عباده، فمن أضاف الفعل إليها فهو مؤمن بها كافر بالله تعالى، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى فهو مؤمن بالله كافر بها.

هكذا جاء الشرع الذي له الإيمان والكفر، وأمّا العقل فإنه يدل على أنه لا فاعل إلاّ الله، وما أحسن ما قال (صلى الله عليه وسلم) وما بلّغ عن ربه بأشرف عبارة، وألطف إشارة فقال في أثر سماء كانت وقد أصبحوا بخرافات من جُهَيْنة:

«أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكواكب، وكافر بي ومؤمن بالكواكب.

فأمّا من قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب.

ومن قال: مطرنا بنَوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»(٣).

وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) يقول بعد ذلك:

مُطِرْنا بنوء الفتح.

ويتلو: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا...﴾(٤) الآية. فأدار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القسمة بين المؤمن والكافر بأي وجه كان، ونبّه بذلك على القسم الثالث المدرج بينهما، وهم القسم الذي يضيف الفعل إلى الله تعالى بحكم الإيجاد والإبداع، ويضيف الفعل إلى

---

(١) طبع هذا الكتاب أكثر من مرة وفي النسخة المخطوطة ذكر أنه كتاب **البيان** وهو خطأ طبعاً تحريف.

(٢) في المخطوطة (العزيز العليم) مجتمعة.

(٣) حديث: (أتدرون ماذا قال ربكم...).

رواه البخاري في **كتاب التوحيد** ١٤٥/٩ عن زيد بن خالد الجهني وأخرجه الإمام مالك في **الموطأ** ٩١/١ باب الاستسقاء، انظر **الأحاديث القدسية** ٣٥، ٣٦، ٣٧، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة.

(٤) الآية رقم (٢) من سورة فاطر.

المخلوق بحكم التوجّه والقصد، والانبعاث والكسب، وعلى الوجه الذي أضاف اللّه تعالى به الفعل إلى عبده فقال:

﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1].

وأضاف العمل إلينا بهذا الحكم، مع كون ذلك العمل خلقاً له وإبداعاً «لا إلٰه إلاّ هو» فلهذا جعله كافراً أي ساتراً، ولم يقل مؤمن بي جاهل بالكواكب، لكن قال: كافر، أي ساتر ما يعرف منه.

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة الصافات.

باب: فلك الكواكب الثابتة

وهو آخر الأفلاك الثابتة(*)

ثم[1] أحدث الله هذا الفلك الرابع، وخلق عالم الرضوان، بينه وبين فلك البروج وسطحه أرض الجنة، ومقعَّره يكون سقفاً للنار. وفيه أسكن رضوان خازن الجنان، وهو من الملائكة الكرام يقال لهم: «التاليات»[2]، وقال بعض أهل المقاييس في قوله تعالى:

﴿ويَحْمِلُ عَرْشَ ربِّكَ فَوْقَهُم يومئذٍ ثمانية﴾[3].

إن هذا الفلك أحد الثمانية الحَمَلة، والسبعة [الأفلاك][4] التي تحته، هي التي سنذكرها إن شاء الله تعالى، وجعل فلك البروج هو العرش، وهو الأطلس والأمْر، على خلاف ما قاله من كل وجه، وهذا الترتيب لا يمكن إدراكه إلاّ بالكشف، أو الاطلاع، أو بخبر الصادق، وكذا المنجمون أهل الأرصاد، وأصحاب علم الهيئة، لم يعرفوا [ما عرفوا][5] من ذلك إلاّ بطريق الكشف الحسّي، فأبصروا حركات الكواكب فاستدلوا بذلك على كيفية الصنعة الإلهية وترتيب الهيئة فأخطأوا في بعض، [وأصابوا في بعض][6]، واختلفت آراؤهم في ذلك اختلافاً معروفاً متداولاً بين أهل هذا الشأن، وإن الله تعالى لمّا خلق هذا الفلك رتّب في مقعّره ألف

(*) كتب العنوان في المخطوطة هكذا (باب فلك الكواكب وهو أجزاء الفلك الثابتة).

(١) في المخطوطة (وأحدث).

(٢) انظر الآية رقم (٣) من سورة الصافات. ونصها: ﴿فالتاليات ذكرا﴾.

(٣) الآية رقم (١٧) من سورة الحاقة.

(٤) سقطت من المخطوط.

(٥) سقطت من المخطوط.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

مرتبة وإحدى وعشرين مرتبة. قسم الفلك عليها أقساماً كما قسم فلك البروج على اثني عشر قسماً، فظهر لكل قسم كرة، فظهرت اثنا عشر كرة، وهو فلك الكواكب والسبعة الأفلاك التي تحته، والأربعة الأركان فهذه اثنا عشر وحكمها، إنما هو فيها كما رتّبَهُ وقَدَّره العزيز العليم.

وقد نبّه عباده على هذا فقال تعالى:

﴿والشمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾[1].

فكذلت قسّم الفلك الرابع إلى الأقسام التي ذكرناها، وجعل في كل قسم ملكاً من الملائكة، على صورة عالم من العوالم، الكائنة في عالم الأركان فحصر صورة عالم الأركان بتلك الأقسام فدار هذا الفلك دورة أبرز فيها عالم الجنان كحركة الأرض في إخراج النبات.

كما قال تعالى في الأرض:

﴿اهتزَّت وَرَبَتْ وأنبتت من كل زوجٍ بَهِيج﴾[2].

فكل فلك يحكم فيما دونه بما أودعه الحق فيه وفطره عليه، وهذا الفلك هو فلك الحروف.

من هنا انتشأت في عالم الأجسام على الثمانية والعشرين منزلة ثمانية وعشرون حرفاً على المخارج المستقيمة، ثم حروف خرجت عن حد الاستقامة في الإنسان وغيره من الحيوانات، وهي بعدد ما بقي من الأقسام مقداراً بمقدار لا يزيد ولا ينقص، ومثالها في الإنسان كالحروف بين الباء والفاء، وكالحروف بين الجيم والشين، وكحروف الخيشوم، وهكذا في الحيوانات. وأخبرني بعض العلماء من تلاميذ[3] جعفر الصادق[4] (رضي الله عنه) أنه أوصلها إلى سبعة

---

(١) الآيتان (٣٨، ٣٩) من سورة يس.

(٢) الآية رقم (٥) من سورة الحج.

(٣) في النسختين (من تلميذ) والصحيح أن يقال (من تلاميذ) أو (تلميذ) بدون حرف الجر (من).

(٤) الإمام (جعفر الصادق) هو: جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه: فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عن الجميع) كان إماماً ومحدثاً، وله مكاشفات أهل الحقائق، وأسرار كثيرة مع الحروف، وله مصنفات ومؤلفات ومن أقواله: (لا يتم المعروف إلاّ بثلاث: أن تُصغّره في عينك، وتستره، وتعجّله). وقال: (إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه). توفي رضي الله عنه سنة ١٤٨هـ وقيل سنة ١٤٦هـ انظر ترجمته في: ابن قتيبة: **المعارف** ٢١٥، ابن كثير: **البداية والنهاية**: ٩٥/١٠/٥. الذهبي: **مختصر دول الإسلام** ١٠٢/١، كحالة: **معجم المؤلفين** ١٤٥/٣، الزركلي: **الأعلام**: ١٢١/٢، الهجويري: **كشف المحجوب** ٩٨، المناوي: **الكواكب الدرية**: ١٧٧/١، أبو نعيم: **حلية الأولياء** ١٩٢/٣، الشعراني: **الطبقات الكبرى** ٢٨/١، ابن الجوزي: **صفة الصفوة** ٣٠٣/١، السبكي: **مختصر أعذب المسالك المحمودية** بتحقيقنا هامش ٤٧.

وسبعين حرفاً في الحيوانات، ولما كانت الحروف من هذا الفلك لا تُعطي خواصها إلاّ ما يعطيه حكم المنازل، ولا تُعطى أبداً شكلاً غريباً لأنها دون الفلكين غير أن لها روحانية لطيفة في الفلك الأطلس الذي هو سقف الجنة بها يبقى الكلام على أهل الجنة، أعني الحروف الفكرية.

وأمّا اللفظيّة فهي لهم في نفس هذا الفلك الذي هم فيه، ولكن هو ألطف وأعذب من هذا الكلام المعتاد، لأنها تفعل هناك بالروحانية الخالصة، كشكلنا أيضاً في الجنان على أعدل نشأة فأنتج[1] الاستعداد الحسن، والفيض الروحاني نتيجة (تناسب نشأتها)[2]، وبما في الفلك الأطلس من الطبيعة وفي هذا الفلك كان في الجنة الأنهار، والرياح، والأشجار، والبحور، والقصور، والوِلْدان، والأكل، والشرب، والنكاح، والانتقالات من حال إلى حال على أهل الطبيعة، إلاّ أن الأمر ثابت في عين الحوامل والقوابل بحفظ الاعتدال، فلا يستحيلون أبداً لكن يختلف عليها الصور، والحالات، والصفات، والأشكال في المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والأعراض، بشريف وأشرف، وحسن وأحسن وجميل وأجمل، حكمة بالغة من عزيز عليم.

وهنا نُكْتَةٌ:

اللطيفة الإنسانية ليست من عالم الاستحالة والفناء بل هي من عالم الثبوت والبقاء، وهي تستدعي بيتاً تدبّره يُسَمّى الجسم الطبيعي وهي المخاطبة العاقلة الحيّة الدائمة الملتذّة المتألمّة، والجسم بما هو جسم طبيعي يتغذّى ويتحلل قليلاً قليلاً، وينمو قليلاً قليلاً، ويعطى الغذاء من الزيادة قدر ما نقص، والفاضل يخرج في هذه الدار عَذِرة وبولاً، وبصاقاً ومخاطاً، وعرقاً. وهناك ليس إلاّ العرق خاصة يخرج من أعراضهم يعني من الأبدان، وهو فضلات الأغذية أطيب من ريح المسك.

فالمعتبر من الإنسان لطيفته وهي الحافظة لمّا حصّلت، والمميّزة لما أدركت فتفهم هذا، فإنه ينفعك، فلما أكمل سبحانه أفلاك البقاء، وصارت الكلمة أربعة بوجود هذا الفلك الرابع أراد سبحانه إيجاد عالم الدنيا من الأركان والسموات السبع، والمولّدات التي مآل تراكيبها، وأجسامها إلى فساد وانتقال، وما من فلك أوجده الحق تعالى من هذه الأفلاك الثابتة إلاّ وقد جعل الله سبحانه للملكين الكريمين القلم واللوح توجُّهاً إليها عندما أراد إيجاده، ويخلق اللّه عند التوجه ما شاء أن يخلقه مِمّا شاء أن يتوجه عليه لا بالتوجه لأنه يتعالى ويتقدس عن المعين والشريك وأحكام الأسباب إذ هو الناصب لها والخالق. وما لها سبب إلاّ من حيث التوجه والقصد، وهو خلقٌ للّه تعالى مثل أعمالنا المرادة لنا بخلقه سبحانه الإرادة فينا إلى تحريك يدنا،

---

(١) في المخطوطة: (فأفتح).

(٢) في المخطوطة (تناسبها).

أو إلى فعل من الأفعال المرادة لنا فعندما تتعلق إرادتنا بتحريك يدنا، أو بفعل ما خلق الله تعالى الحركة في اليد، وذلك الفعل ليس غير ذلك، فلا فاعل في الوجود[1] إلاّ هو سبحانه، هذا هو الذي أعطاه دليلي[2] وكشفي، وهو علمي واعتقادي. نسأل الله الثبات عليه، وأنه سبحانه ليس بعلّة لشيء بل هو الواجد أوجد ما أوجده إيجاداً من لم يكن إلى أن كان، ما ثَمَّ أزلي قديم انتفت عنه الأولية إلاّ هو ﴿لا إله إلاّ هو﴾.

فجعل سبحانه للنفس الكلية التي هي اللوح تَوَجُّهاً من حيث أنه يريد إيجاد الأجرام النورانية[3] وغيرها، حتى إذا حصلت الاستعدادات، لأشخاص أنوار هذه الأفلاك على حسب مقاماتهم ومراتبهم التي أهلهم الله تعالى لها، وأهلها لهم. ﴿وما منا إلاّ له مقامٌ معلوم﴾[4] توجه العقل الذي هو القلم عن إذن الواحد القهار توجّه النفخ. فأوجد الله الأرواح الملكية في الأشخاص الفلكية، فقامت حيّة ناطقة بالثناء على الله تعالى ولذلك خلقها.

ولنا في هذا النوع الملكيّ أبيات أولها:

رَوْحٌ مِن الرُّوحِ في جِسْمٍ مِن النُّورِ ... كالمَاءِ أَوْدَعْتَهُ في جَامِ بَلُّورِ[5]

[يُعطِيكَ ظَاهِرُهُ أَسْرَارَ بَاطِنِهِ ... كَالمُبْصِرَاتِ إِذَا مَا فُضَّ في النُّورِ

لَهُ الجَنَاحُ إِذَا مَا شَاءَ يَبْسُطُهُ ... أَوْ شَاءَ يَقْبِضُهُ مِنْ غَيْرِ تَشْمِيرِ

لَهُ اليَدَانِ لَهُ العَيْنَانِ نُبْصِرُهَا ... فِي العَيْنِ قَائِمَةٌ مِنْ غَيْرِ تَصْوِيرِ

لِوَاحِدٍ سِدْرَةٌ عَلْيَاءُ يَسْكُنُهَا ... وَآخَرٌ هَمُّهُ في النَّفْخِ في الصُّورِ

وثَالِثٌ يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ كَارِهَةً ... وَوَاهِبٍ رِزْقَهُ مِن غَيْرِ تَغْيِيرِ

وَخَامِسٍ يُسْمِعُ الأَرْوَاحَ دَعْوَتَهُ ... خَيْرٌ يَجُودُ وبُخلٌ خَلْقُ تَدْمِيرِ

هُمُ الكَثِيرونَ لا يُحصَى مَقَاصِدُهُم ... وَلاَ مَرَاتِبهُم إلاَّ مِنَ الطُّورِ

فَمَنْ عَلى الطُّورِ يَلْحَظُ سِرَّ خَلْقِهِمُ ... وفَوْقَهُ سَابِحٌ في مَاءِ تَنُّورِ][6]

وفرّق بين النفخ والإعادة[7]، ولهذا بيّنا أن النَّفْخ في البدءِ والإعادة فإن الإعادة كالبداءة سواء، ولهذا قال:

---

(١) في المخطوطة: (في الجود).

(٢) في المخطوطة (ليلى).

(٣) في المخطوطة (النورية).

(٤) الآية رقم (١٦٤) من سورة الصافات.

(٥) هذا هو البيت الوحيد الذي ذكر في المخطوطة ولم يذكر باقي الأبيات وما أثبته زائد عليها من المطبوعة.

(٦) هذه الأبيات كلها التي بين معقوفتين سقطت من المخطوطة.

(٧) بالمطبوعة: (الدعاء).

﴿كما بدأكم تعودون﴾[1].

وقال في خلق عيسى (عليه السلام) الطير:

﴿فتنفخُ فيها فتكون طيراً بإذني﴾[2].

وهو إيجاد مخصوص، والدعاء ليس كذلك، كما قال لإبراهيم (عليه السلام):

﴿ثُمَّ ادعهنّ يأتينك سعياً﴾[3].

وما كان أذهب منهنّ شيئاً[4] إلاّ فساد عين التركيب.

وأمّا الأجزاء فهي باقية بأعيانها[5]، وليس حكم الجوهر [بعد زوال الحياة منه التي كان يحملها حسّاً لنا مثل الجوهر][6] الذي لم يكن له ذلك أصلاً، [مع أنّا نعلم أنه ما من شيء إلاّ سبّح بحمده إيماناً، ولا نعلم الكيفية، ولا يكون التسبيح إلاّ من حيٍّ][7].

---

(١) الآية رقم (٢٩) من سورة الأعراف.

(٢) الآية رقم (١١٠) من سورة المائدة.

(٣) الآية رقم (٢٦٠) من سورة البقرة.

(٤) في المخطوط (وما كان ذهب منهن شيء).

(٥) في المخطوط: (وتلك الأجزاء بعينها باقية).

(٦) مام بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

باب: خَلق الدُّنيا

ثم انصرف النظر والتوجُّه الإرادي الإلهي(1) بعد خلق ما ذكرناه [إلى النَّفَسِ الذي هو الملك الكريم](2)، فأوحى اللّه تعالى أن ينحدر بالتدبير في عُمق الجسم إلى أقصاه. [وذلك نقطة مركزه المعبَّر عنها بعجْب الذَّنَب الذي تقوم عليه النشأة، وهو جزء لا يَبْلى](3)، وهو محلُّ نظر العنصر الأعظم، الذي خُلِقَ العقلُ من التفاتَتِهِ، فانحدر الملك الكريم بإذن العزيز العليم إلى أن انتهى إلى المركز(4) فوجد نظر العنصر الأعظم إليه، وأن أمر الكون المدبّر كله(5) منه صدر، وإليه يعود حكمة بالغة فأدار كرة الأرض ابتداءً، وكانت هذه الحركة من هذا [الملك بطالع السرطان وهو](6) الملك الكريم، الذي ذكرناه في سماء البروج. وجعل مما يلي المركز صخرة عظيمة كُريّة، وفي نقطة تلك الصخرة الصمّاء، حيواناً في فمه ورقة خضراء يسبح الله ويمجّده، وهو الحيوان الأشرف. ولنا فيه كلام طويل فإن مقامه من أعجب المقامات.

وعمَّر هذه الأرض بصِنْفٍ من الملائكة يقال لهم: «الناشرات»(7) وقد نبّه الشرع إليها أن الملائكة تنشر أجنحتها لطالب العلم، وهم هؤلاء، فإن الأرض إنما هي لعباده الصالحين، وهم العلماء بالله، وجعل فيها مقدّماً من الملائكة عظيماً اسمُهُ: قاف، وإليه يُنسب الجبل المحيط

---

(1) سقطتا من المخطوط (الإرادي الإلهي).

(2) وما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(3) ما بين المعقوفتين كتب [وهو المركز] فقط والباقي سقط.

(4) في المخطوطة: (إلى أن انتهى إلى الكرسي والمركز).

(5) في المطبوعة (فله).

(6) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(7) انظر قول الحق سبحانه في الآية رقم (2، 3) من سورة المرسلات ونصُّها: ﴿فالعاصفات عصفا. والناشرات نشرا﴾.

بالأرض «جبل قاف»، فإنه مقعد هذا الملك وبيده حكم الأرض، وحكم الزلازل، والرجفات، والخسف، وكل ما يحدث في الأرض منها بيد هذا الملك زمامُه، وجعل هذه الأرض محل أكثر المولّدات وهي المقصودة من بين سائر الأركان، وفيها ينزل الخليفة، وعليها ينزل الأمر الإلهي. ولمّا كانت المقصودة لم تتنزّل الكُتب إلاّ بذكرها فقال في غير موضع السموات والأرض، والسماء والأرض، وقال:

﴿والسماء وما بناها والأرض وما طحاها﴾[١].

وقال: ﴿خلق الأرض في يومين﴾[٢] ثم قال: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾[٣]. ولم يذكر من الأركان غيرها، فدَلَّ ذلك على أصالتها، وعلى أنها المقصودة، ثم الكشف يعطي بأنها هي التي خلقت أولاً، وأنها أول الأركان خَلَقَها قبل بقية الأركان، وفيها [خلاف كثير بين العلماء ـ وقبل السموات وما فيها ومنها][٤] يكونون في الجنة وعليها يُحشر الناس غير أن نعوتها تتبَدل فتكون الخاصية في الحشر الساهرة. أي: لا ينام عليها لهذه الخاصية وقال: ﴿يوم تُبدَّلُ الأرْضُ غير الأرْضِ والسموات﴾[٥].

والجنّة: مبنية كلُّها، وخلقها من نفائس معادنها من اللؤلؤ، والمرجان، والجوهر، والدُّرّ، والياقوت، والذهب، والفضة، والزمرّد، والمسك، [والعنبر][٦]، والكافور، وما أشبه ذلك، وإذا وقفت في الأخبار على أن مراكب الجنة من دُرٍّ، وياقوت، ومرجان، وحورها، وولدانها، وجميع ما فيها. فافهم.

من ذلك ما فهمت من أن آدم خُلِقَ من تراب[٧]، ومن حمأٍ مسنون[٨]، وأنك مخلوق من

---

(١) الآية رقم (٦) من سورة الشمس.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة فصلت.

(٣) الآية رقم (٢٩) من سورة البقرة.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٥) الآية رقم (٤٨) من سورة إبراهيم، وهذه الآية سقطت من النسخة المخطوطة.

(٦) سقطت من المخطوط.

(٧) انظر حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قوله:

(كُلكم بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، لينتهينّ قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجُعْلان)، رواه البزار عن حذيفة رضي الله عنه.

أورده السيوطي في: **جامع الأحاديث** رقم (١٥٨٦١) ٥/٩٢.

(٨) انظر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسان من صَلْصَالٍ من حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ وهي الآية رقم (٢٦) من سورة الحجر، وأورده ناسخ المخطوط بتحريف (ماء مسنون) هكذا!

ماءٍ مَهين[1]، فهو تنبيه على الأصل، وكما كانت الأرض للجنة من حيث ما ذكرنا، فمنها أيضاً للنار، كل معدن خسيس مثل الكبريت، والحديد، والرصاص، والنحاس، والقار، والقطران، وكُلُّ نَتنٍ وقَذِرٍ، وقد عبّر الشارع فقال:

﴿سرابيلهم من قَطِران﴾[2]

﴿ولهم مقامع من حديد﴾[3].

«وصُبَّ في أُذنيه الآنك»[4] ويجعل لمن كان يسجد اتّقاءً ورياءً، وهو المنافق. ظهره طبقة النحاس.

وقد نبّه بوادي جهنم بالبيت المقدّس، وبطن محشّر، وبالأرض الملعونة، وبشجرة الغرقد، فقسّم هذه الأرض وفصّلها بين الجنة والنار، فللنّارِ منها جُزء، وللجنّة منها جزء.

وأخبر (صلى الله عليه وسلم):

«ما بين قبري ومِنبري روضة من رياض الجنّة»[5]، إلاّ أنها لا تتبدّل بالصفات. وقد ذكرنا في «كتاب الجنة»[6] ما يشفي في ذلك، وفي «كتاب النار»[7] ما يشفي في ذلك. فالأرض الأصل خلقها بما فيها في أربعة أيام وهي أربعة آلاف سنة، كل يوم من الأيام ألف سنة عنده[8]، فعيّن فيها أماكن الخير وأماكن الشر مقدّرة.

---

(١) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٢٠) من سورة المرسلات ونصها ﴿ألم نخلُقُكم مِن مَاءٍ مَهِين﴾.

(٢) الآية رقم (٥٠) من سورة إبراهيم.

(٣) الآية رقم (٢١) من سورة إبراهيم.

(٤) حديث: **(وُصب في أذنيه الآنك)** وهو الرصاص المغلي.

رواه البخاري في التعبير ٤٥، وأبو داود في الأدب ٨٨، والترمذي في اللباس ١٩، والدارمي في الرقاق ٣ وأحمد بن حنبل في مسنده ١/٢٤٦، ٢/٥٠٤.

انظر **المعجم المفهرس** (مادة: آنك).

(٥) حديث: (ما بين قبري ومنبري روضة...).

رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أورده السيوطي في **جامع الأحاديث** تحت رقم (١٩١١٣) ٥/٦٤٣ والحديث رقم (١٩١١٠) رواه أحمد بن حنبل، وأبو يعلى والضياء كلهم عن أبي سعيد، ورواه البيهقي في الشعب، والخطيب في الجامع، وابن عساكر في تاريخه كلهم عن جابر بن عبد الله، ورواه الخطيب أيضاً في الجامع، وابن عساكر في التاريخ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

انظر ٥/٦٤٢ من **جامع الأحاديث**.

(٦) لا يزال مخطوطاً.

(٧) لا يزال مخطوطاً.

(٨) في المخطوطة (كل يوم من سنة).

ثم إن الله تعالى وتقدَّس خَلَق الأفلاك الثابتة دائرة بالتوجُّه نحو الكمال، والكائنات يوجدها الحق عند دورانها كما يوجد الشِّبَع عند الأكل، وليس ذلك بمقصود للأفلاك وحَلَّلَ في جوف كُرَة الأرض منها ما حُلِّلَ، وسخُفَ، ولطُف فكان ماءً نتِناً، وهو البحر العظيم الذي يعذّب به أهل الشقاء وهو ماء أسود، وكثيراً ما يظهر آثاره في الأماكن المخسوفة ينفتح له مَنفَسٌ، فيظهر منه على وجه الأرض ما يظهر، ومنه منبع المياه الرديئة كلها التي لا يلائم مزاج الإنسان والحيوانات فدار هذا الماء بالصخرة، وصارت الأرض عليه، ثم حَلَّلَ سبحانه منه ما حلّل ولطّفه مِمّا يلي المركز، فكان الهواء المظلم، وهو اليحموم، فدار ذلك الهواء بالمركز، الذي هو الصخرة واشتدت حركة هذا الهواء فامتسك هذا الماء عليه، والأرض [فوق هذا وتموّج الماء بهذه الريح المظلمة السمومية. فمادت الأرض][1]، فرأت الملائكة مَيْدَ الأرض، وقد حصل لهم التعريف من اللّه بأنها محلّ خلق: يُخْلَقُون منها على نشأة مخصوصة، لا يمكن معها التصرف إلاّ على ساكن. فقالت: يا ربنا كيف استقرارُ عبادك على هذه الأرض؟

فأبدى لهم تجلّياً أصعقهم به، وخلق من الأبخرة الغليظة المتراكمة الكثيفة الصاعدة من الأرض الجبال فَقَالَبَها عليها فسكن مَيْدُ الأرض، وذهبت تلك الحركة التي لا يكون معها استقرار، وطوّق هذه الأرض بجبل محيط بها، وهو من الصخرة الخضراء، وطوّق به حيَّة عظيمة اجتمع رأسُها بذَنَبها. رأيتُ من صَعِدَ هذا الجبل، ومن عاين هذه الحيَّة وكلَّمَا وقالت: «سلّم مني» إلى «أبي مدين»[2]. وكان من الأبدال من أصحاب خُطوة يقال له: «موسى السدراني»[3]، وكان محمولاً له، فسأله يوسف بن يخلف عن طول هذا الجبل في الهواء فقال:

صَلّيتُ الضحى في أسفله والعصر في أعلاه، فأنا بهذه المثابة.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٢) هو (أبو مدين الغوث): هو شعيب بن الحسن الأندلسي سيد العارفين والأولياء، الجامع بين الشريعة والحقيقة، إمام الأئمة الذي كان الناس يقصدون زيارته من كل مكان توفي رحمه الله سنة ٥٨٩هـ وترك بعض المؤلفات والأشعار الصوفية والحكم.

انظر ترجمته في المناوي: الكواكب الدرية ١/٦٦٥.

ابن العماد: شذرات الذهب ٤/٣٠٣.

كحالة: معجم المؤلفين ٤/٣٠٢.

بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي** ٤/٣٦١ النسخة العربية.

أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف.

(٣) (موسى السدراني) لم أقف على ترجمته.

يعني من اتساع الخطوة.

ثمَّ أفاق الملأ الأعلى من صعقتهم فرأوا من قدرة الله تعالى ما هالهم. فقالوا:

ربَّنا هل خلقت شيئاً أشد من هذه الجبال؟

فقال: نعم، الحديد.

فقالوا: ربَّنا فهل خلقت شيئاً أشد من الحديد؟

فقال: نعم، النار.

فقالوا: رَبَّنا فهل خلقت شيئاً أَشَدَّ من النار؟

قال: نعم، الماء.

فقالوا: ربَّنا فهل خلقت شيئاً أشد من الماء؟

قال: نعم، الريح.

فقالوا: ربنا فهل خلقت شيئاً أَشَدَّ من الريح؟

قال: نعم، الإنسان يتصدق بصَدَقة فلا تعرف شماله ما تُنفق يمينه[(١)].

فهذا هو الذي ملك الهواء.

فمن ملك هواه فهو أشد من الهواء، وهو الذي ينبغي أن يقال له إنسان، ومن لم يحكم هذا المقام فهو حيوان. صورته صورة الإنسان لا غير.

فقالت[(٢)]: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك.

أي ما عرفناك حقَّ معرفتك. إذ تكلمنا بما لا ينبغي لنا أن نتكلم به، فإنك أنت العليم القدير.

ولمّا كان وجود هذه الأرض، وقد دارت الأفلاك الثابتة، تخيّل القدماء الفلاسفة أن الأفلاك السماوية مخلوقة قبل الأرض، وأنه يتنزّل الخلق إلى أن ينتهي إلى الأرض فأخطأوا في ذلك غاية الخطأ، لأن ذلك صنعة حكيم، وتقدير عزيز عليم، يفتقر العلم بذلك إلى إخباره باللسان الصادق، والعلم الضروري أو إقامة المُثُل بكيفية الأمر. وليس للقدماء في هذه الطريقة كلها مدخل فأجالوا الفكر على علم لا يتحصَّل بالفكر، فأخطأوا من كل وجه.

---

(١) حديث: (لمّا خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال) أخرجه الترمذي في أواخر جامعه ٢٤١/٢.
وقال إسناد حسن غريب.
انظر: **الأحاديث القدسية** طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٩١م.

(٢) أي الملائكة.

ثُمّ إن الله تعالى أدار بالأرض من جهة سطحها كُرَةَ الماء بتسخيف من الأرض وتحليل، وعمَّر هذه الكرة بملائكة يقال لهم: «الساريات»، وعليهم مقدم يُسمى الزاخر، وخلق العالم الملكي الذي هو عالم الذكر بين الماء والأرض، فلهم شركة في الماء والأرض، ثم أدار بالماء الهواء، وجعل عُمَّاره من الملائكة الزاجرات[1]، وعليهم ملك يُسمى الرَّعد، وجعل بين الماء والهواء من الملائكة عالم الحياة، ثم أدار بالهواء كرة الأثير، وهو النار، وجعل عمَّاره من الملائكة السابقات[2] وعليهم ملك كريم هو مقدّمهم، لا أعرفُ له اسماً، فإنِّي ما عُرِّفتُ بذلك، وجعل عالم الشوق ممزوجاً من الهواء والأثير، ومن سطح الأرض إلى سطح هذه الكرة اثنان وسبعون سنة.

ثم أدار بكُرَة الأثير السماء الدنيا، وجعل عُمَّاره من الملائكة السابحات[3]، وعليهم ملك يُسَمَّى «المجتبى»، وفيه خلق القمر وهو الإنسان المفرد، وفيه أسكن روحانية آدم (عليه السلام) بعد موته، وجعل بينه وبين كرة الأثير عالم الخوف من الملائكة.

ثم أدار بالسماء الدنيا هواءً نورانياً، وجعل عُمَّاره من الملائكة، ملائكة المزج، ثم أدار بذلك الهواء السماء الثانية، وعمَّرها بالملائكة الناشطات[4]، وعليهم ملك يُسمى الروح، وفيه خلق الله كوكباً يسمى «عطارد» وهو الكاتب. ثم أدار بالسماء الثانية هواء عجيباً جعل عماره صنفاً من الملائكة يقال لهم عالم الحفظ والحافظات. ثم أدار بالهواء السماء الثالثة، وعمَّره بالملائكة القانتات، وعليهم ملك يسمى الجميل، وفيه خلق الله كوكباً يُسمى «الزهرة» وأدار به هواء أسكنه عالم الأنس، ثم أدار بذلك الهواء السماء الرابعة وعمَّره من الملائكة بالصافات[5] وعليهم ملك يُسمى «الرفيع» وفيه خلق الشمس. ثم أدار بهذه السماء هواء عمَّره بعالم البسط، ثم أدار بهذا الهواء السماء الخامسة، وعمَّرها من الملائكة بالفارقات[6] وعليهم ملك يسمى «الخاشع»، وفيه خلق الله كوكباً يقال له الأحمر، ثم أدار بهذه السماء هواء عمَّره بعالم الهيْبة، ثم أدار بهذا الهواء السماء السادسة، وعمّره من الملائكة بالملقيات[7] وعليهم ملك يسمى المقرَّب، وخلق الله فيها كوكباً يقال له «المشتري» أدار بهذه السماء هواء عمَّره بعالم الجمال،

---

(١) (الزاجرات) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٢) من سورة الصافات ونصها ﴿فالزاجرات زجرا﴾.

(٢) (السابقات) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٤) من سورة النازعات ونصها: ﴿فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمرا﴾.

(٣) (السابحات) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٣) من سورة النازعات ونصها: ﴿والسَّابحاتِ سَبْحا﴾.

(٤) (الناشطات) انظر الآية رقم (٢) من سورة النازعات ونصها: ﴿والناشطات نشطا﴾.

(٥) (الصافات) انظر الآية رقم (١) من سورة الصافات ونصها: ﴿والصافات صفّا﴾.

(٦) (الفارقات) انظر الآية رقم (٤) من سورة المرسلات ونصها: ﴿فالفارقات فرقا﴾.

(٧) (المُلقيات) انظر الآية رقم (٥) من سورة المرسلات ونصها: ﴿فالملقيات ذكرا﴾.

ثم أدار الهواء السماء السابعة، وعمّره من الملائكة بالنازعات(١)، عليهم الملك الكريم، وفيه خلق الله كوكباً يُسمى «كيوان».

ثم أدار به هواء إلى مقعَّر فلك الكواكب الثابتة، عمَّره بعالم الجلال، وفي هذا الهواء أسكن مالكاً خازن النار، وعزرائيل الذي هو ملك الموت، وفيه سدرة المنتهى، التي أغصانها في الجنان، وأُصُولها في أسفل السافلين فهي الزقّوم لأهل النار، والنعيم لأهل الجنان.

ومعنى قولنا: خَلَقَ. في هذه [الأُكَر كلها](٢) عالم كذا وعمَّره بكذا إنما أريد أن الله هيَّأ فيها مراتب خلقها وكوّنَ فيها أجسامها النورانية وأعدّها لقبول الأرواح والحياة، وأسرار هذه الاستعدادات كلها في حركات الأفلاك الأربعة الثابتة:

فخلق السماء الأولى، سماء القمر، [على طبع الماء](٣)، باردة رطبة فجعل بينها وبين النار منافرة طبيعية حتى لا تستحيل ناراً، فكان يبطل ما يراد بها من التحريك والأدوار، التي يهب الله تعالى المولدات والصور عند دورانها في عالم الأركان، ورتّب مسالك خلقها فيها ومقاماتهم، ودار هذا الفلك دورة قَسْرية فُصّل مكانه بها من الجسم الكلي فظهر الهواء الذي بينه وبين الفلك الذي يوجد فوقه، وهكذا فعل في كل سماء من السبع.

- فالأولى والثالثة على طبيعة واحدة، وهي البرودة [والرطوبة](٤).
- والرابعة والخامسة على طبيعة واحدة، وهي الحرارة واليبوسة.
- والسماء الثانية ممزوجة.
- والسادسة حارة رطبة.
- والسماء السابعة باردة يابسة.

ثم توجّه الحق سبحانه وتعالى على هذه السموات والأرض وما بينهما بخلق الأرواح في صورها، المعبر عنه بالنفخ فقبلت الأرواح على قدر استعدادها، فظهرت أعيان العوالم، الذين ذكرناهم من الملائكة، وحييتْ الأفلاك والأركان، فدارت واتصل العمران [وشهدت](٥) وأحبت البقاء والكمال فتحركت في دورانها حركة الشوق إلى ذلك، ولا تشعر هذه الأفلاك

---

(١) (النازعات) انظر الآية رقم (١) من سورة النازعات ونصها: ﴿والنازعاتِ غرقاً﴾.

(٢) في المخطوطة (الأكور).

(٣) ما بينهما سقط من المخطوط.

(٤) سقطت من المخطوطة.

(٥) سقطت من المخطوطة.

ما أودع الله من الأسرار في دورانها، فإذا وفّت الطبيعة ما في قُوّتها مما جبلها الله عليه في هذا العالم وحصل المنع في الأركان عن القبول عادت آثار حركات الأفلاك عليها لمَّا لم يجد فيها ما تنفُذ فتصادمت تصادم الأشخاص هنا فانفطرت ورجعت إلى أصل المبدأ[1].

وحدث الليل والنهار بحدوث الشمس في السماء الرابعة، وتميّز اليوم بها عندنا، وجعل الله تعالى حركات هذه الأفلاك كلها على طريقة واحدة من الشرق إلى الغرب كحركات الأفلاك الثابتة بخلاف ما يقول أصحاب علم الهيئة.

وذلك أنهم يرون السيارة تقطع في فلك الكواكب الثابتة من النَّطح إلى البُطين، ومن الحمل إلى الثور، فيرون حركتها كأنها بالعكس من حركة فلك الكواكب الثابتة، فيجعلون حركتها من الغرب إلى الشرق، وليس الأمر كذلك، ولكن حركة فلك الكواكب على مقدار يعطيه تركيبه وطبعه من السرعة وأفلاك السيارة معه في ذلك الدور، غير أنه يمشي عنها على قدر قوته بالوزن المعلوم، الذي قدّره خالقه، فيظهر تأخر القمر وغيره من السيارة عن منزل النَّطْح إلى منزل البُطين. وعن برج الحَمَل إلى برج الثور وهو تأخر صحيح، ولكن ليس بتأخر حركة ضدّية تُقابله، وكل من قال إن حركات الأفلاك مع حركات الفلك المحيط على التقابل فما عنده علم من شبهة ما ذكرناه، والقهقرة الظاهرة في بعض السيارات لسرعة تكون في فلكه في ذلك الوقت أعطاها تركيب ذلك الفلك وطبعه الذي خلقه الله عليه، وكان هذا الإنشاء العجيب من حضرة الهو المغيب، وهو غيب الغيب، ولم يقع منه لله تعالى إنشاء إلاّ وقد جعل سبحانه توجُّهات للملك الكريم المُعبَّر عنه بالنفس واللوح إلى هذا الإنشاء، وتوجهات للملك الكريم الذي هو العقل والقلم بالوهب الذي له.

كما جعل الأدوار للأفلاك، وسكتنا عن إيضاح تحقيق الأسباب، لئَلاّ يتخيّل الناظر فيها منّا أنّا مِمَّن يجعل الفعل لغير الله، أو مِمَّن يجعل الفعل للّه بمشاركة السبب، ولسنا من أهل هذين المذهبين، وإن مذهبنا أن يُقدِّم الله ما شاء من خلقه ويؤخّر ما شاء من خلقه، ويخلق الشيء من كونه شيئاً سبباً إن شاء، ولا يجعله سبباً إن شاء.

لكن قد شاء، وقد سبق في علمه أنه لا يخلقها إلاّ هكذا، كما ذكرناه، فمُحال أن تكون إلاّ هكذا، لأن خلاف المعلوم مُحال. فلهذا سكتنا عن ذكر سببيَّة القلم واللوح، ولا سيما وقد قال بذلك من يعتقد فيه القائلون بالشرع أهل الحق أنتم كفار، وهم القائلون بالعلة والمعلول.

فالعاقل من نظر لنفسه وعامل الوقت بما يليق به وتجنّب مواطن التُّهَم عند أصحاب وقته،

---

(١) في المخطوطة (الملأ).

التي يؤدي السلوك فيها عندهم إلى الخروج عن الدّين فيما يزعمون، وإن لم يكن الأمر كذلك. وجهلوا ولا قدرة لك على ردّهم عن ذلك. وللحق وجوه كثيرة فخُذ منها ما يوافق الوقت، ويؤدي إلى سلامة الدين والدنيا. والمعتمد الدين، فإن الوقت لا يقتضي في تمشّيه سلامة الدين فاختر لنفسك أن تظهر الحق والدين حتى تموت مجاهداً، وإن شئت سترت نفسك ودينك، وتظهر لهم فيما هم بسبيله بظاهرك إذا جبروك على ذلك فاضطررت إليه واعتزل عنهم ما استطعت في بيتك لإقامة دينك من حيث لا يعلمون[1]، فقد كان في بدءِ الإسلام على هذه الصورة من التكتّم.

وقد جاء في القرآن:

﴿إلاّ من أُكْرِهَ وقَلْبُه مطمئن بالإيمان﴾[2].

كما قال أيضاً في المجاهدين:

﴿ويقتلون النبيين بغير حقٍّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾[3].

فانظر لنفسك من حيث دينك، فإن إليه مَرَدُّك، وهو الذي يبقى لك، والدنيا عَرَضٌ زائل، وغرض مائل وهو ما لا يبقى عليك ولا تبقى عليه، واصرمه قبل أن يصرِمك، وكن من حزب اللّه ولا تيأس من روح الله.

(١) بدلها في المخطوط (وهم لا يشعرون).

(٢) الآية رقم (١٠٦) من سورة النحل.

(٣) الآية رقم (٢١) من سورة آل عمران.

باب: في الاستحالات

فلمّا كمُلت هذه الأركان والأفلاك على حسب ما ذكرناها، ودارت الأحد عشر فلكاً، وهي آباؤنا العلويات، وتحركت الأركان لدورانها، وهي القوابل الحوامل أمُّهَاتنا السفليات وأعطت الحركات في الأركان الحرارة فسخن العالم وتوجه العقل والنفس، الذي هو القلم واللوح، وتوجه العنصر الأعظم الشريف، الذي هو لكرة العالم كالنقطة والقلم لها كالمحيط [واللوح ما بينهما، وكما أن النقطة تقابل المحيط][1] بذاتها كذلك هذا العنصر يقابل بذاته جميع وجوه العقل، وهي الرقائق التي ذكرناها قبل فهي في العنصر واحدة، وهي في العقل تتعدد وتتكثر. تتعدد قبوله منه فللعنصر التفاتة واحدة، وللعقل وجوه كثيرة في القبول فلهذا كان العنصر أشدّ تحقّقاً بتوحيد خالقه من العقل لأنه أتمّ نسبة وأقوى وإلى العنصر والعقل الإشارة الإلهية عندنا، بقوله تعالى:

﴿وَلَو أَنَّهم أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإنْجيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهم مِنْ رَبِّهم﴾[2]. وهي بقية الكُتُب والصحف والمتنزلات ﴿لأكلوا من فوقِهم﴾[2].

[يشير إلى المحيط من الأسرار والمواهب التي بيد الملك القلم. ﴿ومن تحت أرْجُلِهم﴾[2]. يُشير][3] إلى النقطة من الغيوب واللطائف من العنصر والكل منه، وهو مستمد من اللّه تعالى بذاته. ولمّا سخن العالم ابتدأت الاستحالات في الأركان، التي بها يقع التوالد والتناسل، وجعل استحالة هذه الأركان بعضها لبعض على حسب ما نظمها العزيز العليم.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٢) الآية رقم (٦٦) من سورة المائدة.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

وانظر ما أعجب مِنْ أنّه جعل أول الأركان[١]، وهي الأرض، وآخر الدوائر السماوية[٢] وهي السماء السابعة على طبيعة واحدة، وهي البرودة واليبوسة وجعل بين هذه الأركان منافرة فمنها ما يقتضي المنافرة من كل وجه كالنار والماء والهواء والتراب. فلم يتجاوروا وجعل الحق بينهما وسائط.

- فجعل الماء بين الهواء والتراب.
- وجعل الهواء بين الماء والنار.

وإن كان بينهما منافرة من وجه فبينهما مناسبة من وجه.

فالواسطة الذي هو الماء ينافر النار بذاته، ويناسب الأرض بما فيه من البرودة، ويناسب الهواء بما فيه من الرطوبة.

والواسطة الذي هو الهواء ينافر التراب بذاته، ويناسب النار بما هو حار، ويناسب الماء بما هو رطب. فتستحيل الأرض ماء، والماء هواء، والهواء ناراً، والنار تراباً بغير واسطة.

فإذا أراد الأرض تستحيل هواء، والهواء يستحيل تراباً، فلا بد أن يستحيل كل واحد منهما ماء، وحينئذٍ تستحيل الأرض هواء، والهواء أرضاً، ويستحيلان ناراً، وحينئذٍ يلحق الهواء بالأرض، والأرض بالهواء، وكذلك الماء إذا أراد أن يستحيل ناراً، والنار ماءً فلا بد أن يستحيلا هواءً أو تراباً وحينئذٍ يستحيل هذا ناراً، والنار ماء، وهذه الاستحالات إنما تقع بالإفراط. فإذا جاوز المستحيل حدّه انتقل إلى ضدّه من الوجه الذي هو ضده، فإذا جاوزت اليبوسة حدّها في النار كانت رطوبة فصارت هواء، وإذا جاوزت الرطوبة في الهواء حدّها كانت يبوسة فاستحال الهواء ناراً، فإذا جاوزت الحرارة والرطوبة حدَّهما في الهواء استحال تراباً.

وكذلك النار تستحيل ماء، والماء ناراً، والتراب هواء ولكن هذه الاستحالات نادرة الوقوع، وما رأيت أحداً نبّه لشذوذ وقوعها، وما كل جائز واقع.

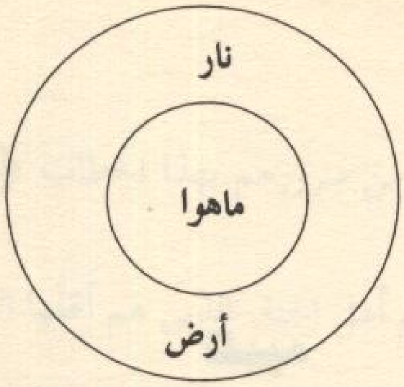
والذي بأيدي علماء هذا الشأن أن يستحيل الشيء إلى الشيء إذا كان بينهما مناسبة من وجه ومنافرة من وجه، وصورة ترتيبها في النّشء كما تراه[٣].

---

(١) في المخطوطة (الأكروي).

(٢) في المخطوطة (وآخر دوائر السماء قبة).

(٣) في المخطوط (كما تراه في الحاشية) وهو الرسم المرفق أسفله والمطبوع.



وبهذه الاستحالات التي قَبِلَتها الأركان حدثت دائرة الزمهرير، والتّجمد الذي يكون في الهواء، وجبال البرد، والبحر المسجور، والماء الذي في جوف كرة الأرض والهواء الدائر بالصخرة، المظلم، والهواء الذي يلي النار فوق دائرة الزمهرير. فصورتها[١] اليوم صخرة في المركز دار بها هواء على الهواء، ماء على الماء، أرض على الأرض ماء على الماء، هواء على الهواء، جمد على الجمد، بحر على البحر، هواء على الهواء، نار على النار، السماء الدنيا، وهذه الاستحالات أعطاها ما أودعه اللّه في الأدوار كلها، وبأدوار الأفلاك الثابتة خاصة كانت الجنان وعليها المخلوقون فيها التي هي أرواح محمولة في أنوار وأجسام شفّافة، شريفة معدنية تناسب فلكها، وعنها انتشأت الخزنة، وكان الخازن الأكبر المقدّم رضوان إذ كانت حالة الرضى هي الحالة الكبرى في الجنة، فما فوقها حالة فسُمي الخازن بها بُشرى لهم.

(١) انظر الشكل المرسوم نهاية هذا الباب.

تنبيه

وقد ورد في بعض الأخبار النبوية:

«إن الناس في الجنة إذا أخذوا منازلهم فيها ناداهم الحقُّ جلَّ جلاله ـ بالكلام الذي ينبغي أن يُنسب إليه من غير تكييف ولا تشبيه ـ

يا عبادي هل بقي لكم شيء؟

فيقولون: يا ربنا ما بقي لنا شيء، نجيتنا من النار، وأدخلتنا الجنة، وكسوتنا وأطعمتنا وسقيتنا، وفعلت وصنعت.

فيقول جلَّ جلاله: وبقي لكم شيء.

فيقولون: يا ربنا وما بقي لنا؟

فيقول: أنا أُعْلمكم برضائي عنكم، فلا أسخط عليكم أبداً هل رضيتم؟

فيقولون: رضينا عنك»[1].

---

(١) حديث: (إن الناس في الجنة إذا أخذوا منازلهم...).
أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ١١٤/٨ والعَسقلاني ٣١٩/٩، ١٥١/٩.
وأخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (كلام الرب مع أهل الجنة). ومسلم في كتاب الجنة ٩١/٢.
وهو حديث حسن صحيح
انظر كتاب الأحاديث القدسية ٤٦٦/٢.
أحاديث رقم (٣٩٥)، (٣٩٦).
والأحاديث (٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤) ٤٦٢/٢، ٤٦٣.

فما يُسَرّ أهل الجنة بشيء أعظم من سرورهم بهذا الخطاب ﴿خَالِدِينَ فيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضوا عَنْهُ﴾(١).

هؤلاء المخاطبون بهذا الخطاب هم أهل الجنة، الذين هم أَهْلُها العاملون لها، والمتعشّقون بها، الذين ما طلبوا من الحق سواها.

وأمّا العارفون أهل الله وخاصّته، فليس لهم في هذا الخطاب مَدْخل، إذ قد نالوه في الدُّنيا حال سلوكهم. فكانوا هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وأولئك في الآخرة.

فالعارفون في الجنَّة بحكم العَرَض لا بحكم الذات، وهم مع الله بالذّات، فقيل فيهم: أهل الله وخاصته، ولم يُنسبوا إلى الجنة لكن الجنة تُنسب إليهم.

وأمّا أهل الجنّة الذين هم أهلُها، فهم مع الجنة بالذات ومع الله بالعَرَض، فرؤيتهم لله تعالى في أوقات مخصوصة، وكلتاهم في الجنان مع الحور والوِلْدان.

وبالذّات، هنا: معناه هم مع الله بحقائقهم لا يلتفتون إلى ما سواه إلاّ بحكم أمره، وبمشيئة عَدْلِهِ في عالم النُّفوس. وكما انتشأ عالم الرضوان كذلك أيضاً لما سوي النور ظهر مالك وخَزَنَة النار، ومالك هو الخازن الأكبر المقدَّم، وسُمّي مالكاً [لشدته، وقوته، وقهره](٢)، الظاهر في عالم الشقاء، فيزيد عذابهم وحرجهم لهذا القهر.

فإن الأرواح من عالم السعة والانفساح بالأصل، فإذا انحصرت في هذا العالم الضيّق بما اكتسبته كان الضيق عليها أشدُّ عذاباً:

﴿وإذا أُلْقوا منها مكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنين دَعَوْا هنالك ثُبُوراً لا تَدْعو اليوم ثُبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾(٣).

فإن عذابكم لا يتناهى. ولهم خطاب من الجبار تعالى:

﴿اخسؤوا فيها ولا تُكَلِّمون﴾(٤).

سخطي عليكم سخط لا رضى بعد، فلا شيء أشدَّ عليهم عذاباً من هذا الخطاب.

وجُماع هذا الشكل من المركز إلى المحيط، شكل القَرْن أسفله ضيّق وأعلاه واسع، وهو الصور أي جامع الصور.

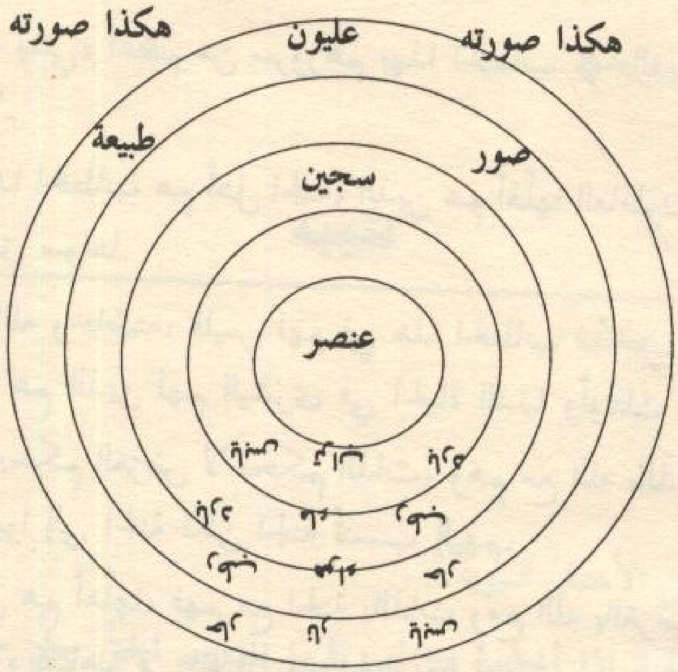
---

(١) الآية رقم (٨) من سورة البيّنة.

(٢) في النسخة المخطوطة [للقهر الظاهر].

(٣) الآيتان رقم (١٣، ١٤) من سورة الفرقان.

(٤) الآية رقم (١٠٨) من سورة المؤمنون.



ولذلك كان بالصاد. فأهل الجنة في أعلاه فهم في سعة المحيط وهم عليون، وأهل النار أسفله في الضيق وهو سجين فعلى قدر ما في السعة من النعيم والفرح والسرور والابتهاج لأ الجنة قدر ما في الضّيق من العذاب والأحزان والغموم.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل اللّه بعقولنا، ومن عقل السعة بنفوسنا آمين.

باب: في النكاح والتَّوالُدِ

فأوّلُ ما دارت الأفلاك، وأعطت الاستحالات في الأركان، وسخن العالم فأوَّلُ ركن قَبِلَ الأثر ركنُ النار، وهو الأثير. فظهرت الكواكب ذوات الأذناب، وهي احتراقات وتكوينات سريعة الاستحالة كما تراها في العين، وهي نجوم سريعة التكوين والفساد، وكانت رجوماً عند مَبْعث محمد (صلى الله عليه وسلم) فما يلي منها العلو أطفأه برد السماء، وما وليَ منها السُّفْل أطفأه الزمهرير، وهو البحر المسجور، وانتشأ في هذا الركن عالم الجان، بين سعيد وشقي، وقد ذكرنا نشأتهم في كتاب أفردناه لهم، والمقصود هنا نشأة الإنسان، فمن غلب نور روحانيته على نار طبيعته كان سعيداً ومن غلب نار طبيعته على نور روحانيته كان شيطاناً بما فيه من الرطوبة والبرودة لأنه ممتزج بالأصالة يقبل العذاب بالنار، وإنما نُسب إلى العنصر الغالب عليه، وهو النار فإنه فيها يكون وهي الظاهرة فيه على جميع الأركان كما كان الغالب علينا عنصر التراب، وإن كنّا على جميع الطبائع كلها، فقيل فينا:

﴿منها خلقناكم﴾[1].

وقيل في إبليس لعنه الله والجان: ﴿وخَلَقَ الجانَ من مارجٍ مِن نارٍ﴾[2].

وكان لهؤلاء الجان قبل مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مسالك في كُرتهم نحو السماء يسلكون فيها ليستمعوا حديث الملأ الأعلى الملكي وكان الحكم من آدم (عليه السلام) إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على ما رتّبه الحق للملك الكريم المخلوق على صورة السُّنبلة، ولذلك كانت النشأة الترابية الإنسانية فظهرت أجساد الآدميين. كما سنذكره، فلم

---

(١) الآية رقم (٥٥) من سورة طه.

(٢) الآية رقم (١٥) من سورة الرحمن.

تكن النجوم ذوات الأذناب بتلك الكثرة لغلبة الجمود والسكون الذي يقتضيه البرد واليُبس، فلما جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) وانتهى الزمان ودار كهيئته يوم خلقه الله، انتقل الحكم إلى الملك الكريم، الذي خلقه اللّه على صورة الميزان وهو العدْل، وأعطى كل ذي حق حقّه وهو ريحي فأشعل الفلك الأثير إشعالاً عظيماً فكثرت النجوم ذوات الأذناب في الأثير والاحتراقات، وجعلها الحق رجوماً للشياطين فعمَّرت كل مسلك في الأثير، فضاقت المسالك على الجن، الذين يسترقون السمع، ولم يعرفوا ما علة ذلك فقالوا:

﴿أنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾(١). فالحرس الملائكة، وهم الرصد.

وهو قوله تعالى: ﴿من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾(٢).

والشهب والنجوم ذات الأذناب.

﴿وأنّا كنا نعقد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾(٣).

لأنهم قعدوا لهم كل مرصد، فكان من أعظم بلاء طرأ على الجن والشياطين منعهم على الغيب.

ومسألة «خُنافر» و«شصار» فيها كفاية. ذكرها أبو علي البغدادي في كتاب النوادر في قوله تعالى:

﴿إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾(٤). ولكن مع هذا كله يسلكون بحكم البحث، فإن صادفهم شهاب أحرقهم وجعل بأيديهم عالم الخيال، ونصب لكبيرهم ورئيسهم عرشاً على البحر في مقابلة قوله:

﴿وكان عرشُه على الماء﴾(٥).

وهذا هو عرش التلبيس، وجعل بيده قوة مثال كل شيء في العالم الحقيقي، يأتي به في عالم الخيال على صورته في العالم الحقيقي ليُضِلّ به أهل الكشف في كشفهم، وأهل الفكر في النظر في أدلتهم فبيده مفاتيح الشُّبَه والشكوك والأوهام بإذن الله تعالى.

---

(١) الآية رقم (٨) من سورة الجن.

(٢) الآية رقم (٢٧) من سورة الجن.

(٣) الآية رقم (٩) من سورة الجن.

(٤) الآية رقم (٣٠) من سورة الأحقاف.

(٥) الآية رقم (٧) من سورة هود.

ليبتلي عباده بذلك، وقد ذكرنا هذا في كتاب «الكشف»[1] مستوفى فلينْظر هناك فإن هذا المختصر لا يحتمله.

ثم أقول:

وأوجد الله تعالى هذه الدورة المحمدية السيادية في هذا الوقت الذي قدّر فيه هذا الحكم، ونصب فيه هذا الولي لتكون أسراره مكتومة، ومقاماته مستورة، ويكون الطمس على الأفكار لقوّة ناريّتها وعدم ثبوتها فلا تستقر على شيء كما استقر القدماء من أهل الأفكار في الدورة الفلكية قبل مبعث سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وقبل استدارة الزمان فكانت الحيرة في أهل الأفكار منا، أكثر من غيرنا من الأمم، ومن تَعِبَ من الفكر وقف حيث تعب.

- فمنهم من وقف في التعطيل.
- ومنهم من وقف في القول بالعلل.
- ومنهم من وقف في التشبيه.
- ومنهم من وقف في الحيرة، فقال: لا أدري.
- ومنهم من عثر على وجه الدليل فوقف عنده، فكَلَّ عنده.

[فكُلٌّ][2] إنسانٍ وقف حيث تعب، ورجع إلى مصالح دنياه، وراحة نفسه وموافقة طبعه، فإن استراح من ذلك التعب، واستعمل النظر في الموضع الذي وقف فيه مشى حيث ينتهي به فكره، إلى أن يتعب، فيقف أيضاً أو يموت. هذا كله لاشتغال الخواطر وغلبة الحرارة عليها.

غير أن اللطائف مختلف بانصباب موادّها إلى موارد مختلفة فأكثر الخلق في هذه الأمة مجبولون على الأمور التي لم يكن أحد من غابر الأمم يصل إليها إلاّ بعد الرياضات والمجاهدات والأفكار الدائمة التي أُمِروا باستعمالها، والخلوات بنفوسهم. وهذا كله لما أودع الله في قوة هذا الحاكم الملكي (صلى الله عليه وسلم) [إذ كان الله تعالى قد سبق في علمه أن يفعل ما يفعله عند الأسباب لا بالأسباب، إذ لا معين له ولا ينبغي][3] فاشتغلت أيضاً قلوب أهل الأذكار، وهم الصفوة من عباد الله تعالى أهل الذكر والاجتهاد في العبادات وحفظ الشرائع وهم الصادقون من الصوفية، فنالوا المراتب العلية في العلوم الإلهية حتى كان علماء هذه الأمة كأنبياء سائر الأمم، وفُتح لهم في بواطنهم في مقابلة ما كان يظهر على ظواهر بني إسرائيل من

---

(١) لا يزال مخطوطاً.

(٢) ما بينهما سقط من المخطوط.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

العجائب وهم لا يعرفون ذلك ولا قَدْره فانكتمت سرائر هذه الأمة لتحققها بالحق سبحانه حين نزلت عليه من الأكوان.

[نَـزَلَـتْ عَـلَـى الإِلَـهِ مِـنَ الـعِـبَـادِ عَـسَـى يَـنْـفـي الـكِـيـانَ مِـنَ الـفُـؤَادِ
فَـقَـالَ: أَجَـل، وَلَـكِـنْ ثَـمَّ سِـرٌّ إلـيـه فـي افْـتِـقَـاركـم اسْـتِنَادي
فَـإِن يَـحْـصُـل فَـذَاكَ لَـكُـم مُـعـين عَـلـى مَـا تَـطْـلُـبُـونَ مِـنَ الجَوادِ][1]

فليس لأولياء هذه الأمة ظهور إلاّ حيث يظهر الحق تعالى وذلك في الدار الآخرة، فهم الأخفياء الأبرياء الذين يعاملهم الحق بما أمرهم أن يعاملوه به.

إنْ كُـنْـتَ لـي أكـونُ لـك مَـا أنْـتَ لِـي مَـا أنَـا لَـك
فـاصْـغ إلـى قَـوْلـي تَجِـد صِـحَّـةَ مَـا قَـدْ قُـلْـتُ لَـك
وَلْـتَـلْـتَـزم طَـرِيـقَـتـي واجْـهـد وخـلّـص عَـمَـلَـك
تَـنَـلْ بِمَـا جِـئْـتَ بِـه مِـن كُـلّ خَـيْـرٍ أَمَّـلَـك

وفي هذه الدورة السيادية يكثر نطق الجمادات والنباتات، يُظهر حياتها عليها، وقد رأينا من ذلك أشياء ـ وراثة نبوية ـ فإنه قد ثبت عندنا في الأخبار رواية وكشفاً أشياء مثل: سلام الحجر على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[2] وتسبيح الحصى في كفه، وفي كف من شاء الله من أصحابه[3]، وحُبّ الجبل إياه[4].

---

(١) الأبيات الثلاثة سقطت من المخطوطة.

(٢) حديث سلام الحجر: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلّم عليّ...)**. رواه الإمام مسلم في **الفضائل ٣**، والترمذي في **المناقب ٣ والدارس في المقدمة ٤، وأحمد بن حنبل ٨٩/٥، ٩٥، ١٠٥، انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٤٢٦/١.**

(٣) حديث تسبيح الحصى في كفه (صلى الله عليه وسلم) وكف أصحابه فعن أنس رضي الله عنه قال: (أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) كفاً من الحصى فسبحن في يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في «يد» أبي بكر فسبحّن، ثم في أيدينا فما سبحن). وروى مثله أبو ذر، وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان، انظر رواية أنس أخرجه ابن عساكر في تاريخه، ورواية ابن عساكر عن «سويد بن يزيد السلمي» وله روايتان انظرهما في **البداية والنهاية ١٥٣/٦**.

انظر القاضي عياض (**الشفا بتعريف المصطفى (صلى الله عليه وسلم)** ٤٢٧/١.

(٤) حديث حب الجبل إياه (صلى الله عليه وسلم) منها ما قاله عليّ (رضي الله عنه) (كنا بمكة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبلته شجرة ولا جبل إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله). وهذه الرواية للدارميّ في **مسنده**، والترمذي في **جامعه** ٥٩٣/٥ وابن كثير ١٥٣/٦.

وقال: رواه غير واحد عن الوليد بن أبي ثور، ووصفه، بأنه حديث حسن غريب، ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق زياد بن خيثمة عن السدّي. =

وحنين الجذع إليه[1]، وكلمة الذراع المسمومة من الشاة المصلية[2]. والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.

وقوله (صلى الله عليه وسلم):

«لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذَبة سوطه، وتحدّثه فخذه بما عمل أهله»[3].

«وتقول الشجرة: يا مسلم هذا يهودي خلفي اقتله»[4].

«وتخرج الدَّابة التي تكلم الناس بما تسم في وجوههم»[5].

= انظر القاضي عياض (**الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم**) بتحقيقنا، ٤٢٧/١.

وكذلك حديث (**أُحُدْ جبلٌ يحبنا ونحبُّه**)، رواه البخاري عن سهل بن سعد والترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه، والضياء عن سويد بن عامر الأنصاري وليس له غيره.

انظر ما قيل في **كشف الخفاء** للعجلوني ٥٦/١، حديث رقم (١٣٧).

(١) وحديث (حنين الجذع) مشهور لتواتر الخبر به فقد رواه بضعة عشر من الصحابة، فمنهم حديث جابر بن عبد الله قال: (كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار).

انظر القاضي عياض: **الشفا بتعريف حقوق مصطفى** بتحقيقنا ٤٢٣/١.

(٢) حديث: (كلام الذراع المسموم).

وهو حديث أبي هريرة (أن يهودية أهدت للنبي (ص) بخيبر شاة مصلية سمّتها فأكل رسول الله (ص) وأكل القوم. فقال: **(ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة).**

والحديث مشهور انظر **البخاري** ٢٠٢/٣، **ومسلم** ١٧٢١ **وأبو داود** ١٥٩/٢، ابن كثير **البداية والنهاية** ١٧٣/٦ ابن هشام **السيرة**: ٣٣٨/١.

انظر القاضي عياض: **الشفا** ٤٣٩/١ بتحقيقنا انظر الأبواب في ذلك كثيرة.

(٣) حديث: **(لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه...)**، رواه الترمذي في **الفتن** ١٩، وأحمد بن حنبل ٨٤/٣ انظر **المعجم** ١٦٦/٤.

(٤) حديث: (وتقول الشجرة: يا مسلم هذا يهودي خلفي اقتله) رواه البخاري ومسلم متفق عليه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وفيه (حتى يقول الحجر).

وانظر **شرح الطيبي حديث** رقم (٥٤١٤).

(٥) حديث خروج الدابة.

قال تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾.

وذاك حين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

أخرج نعيم بن حماد، وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

(إذا كان الوعد الذي قال الله ﴿أخرجنا لهم دابة الأرض﴾ قال: ليس ذلك حديثاً ولا كلاماً، ولكن سمة تَسِمُ من أمرها الله به، فيكون خروجها من الصفا ليلة مِنى، فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدحض داحض ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمرها الله فهلك من هلك ونجا من نجا، كان أول خطوة تضعها بأنطاكية).

انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣٧٨/٦.

وجعل الله شهورهم قمرية لا شمسية، خلاف من تقدم من الأمم السالفة تنبيهاً من الله تعالى للعارفين من عباده. لأن آية القمر ممحوة عن العالم الظاهر كما قال تعالى:

﴿فمحونا آية الليل﴾(١).

وذلك بسلخ النهار منه.

وقال لمن اعتبر بقوله وتدبّر:

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾(٢).

في علو المرتبة والشرف، فكان ذلك تقوية لكتم آياتهم التي أعطاهم الله في بواطنهم وأجراها فيهم.

ثم إن اللّه تعالى خلق الدواب التي تعمّر البحر الذي بين السماء والأرض، ثم جبال البرد والثلج الذي دون البحر مما يلي الأرض بقوله تعالى: ﴿وينزّل مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ﴾(٣). وكوّن فيها حيات بيضاء صغار وقد يصل إلى هذه الجبال بعض الطيور، وربما تصيد من هذه الحيات الشودنيقات، الفره البَلَنْسية، ورأينا من ذلك حيواناً يسمى «السَّمَنْدَل»(٤) وله خاصية عجيبة في ترك نبات الشعر، وما زال التكوين ينزل إلى أن وصل إلى الأرض. فأول تكوين في الأرض المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان ثم الإنسان. وجعل آخر كل صنف من هذه المكونات أولاً للذي يليها فكان آخر المعادن وأول النبات الكمأة. وآخر النبات وأول الحيوان النخلة، وآخر الحيوان وأول الإنسان القرد.

فلنذكر نشأة الإنسان خاصة الذي هو المقصود في هذا الكتاب، ولنُضرب عن ذكر ما سواه إذ لا حاجة لنا بذكره في هذا الموضع.

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

---

(١) الآية رقم (١٢) من سورة الإسراء.

(٢) الآية رقم (٤٠) من سورة يس.

(٣) الآية رقم (٤٣) من سورة النور.

(٤) في المطبوعة (السمندر) والصحيح (السمندل) ولم يرد في المخطوطة (والسمندل) طائر إذا اتسخ جلده لا يغسل إلاّ بالنار، ومن عجيب أمر هذا الطائر استلذاذه بالنار ومكثه فيها، وهي دابة دون الثعلب خلنجية اللون، حمراء العين، ذات ذنب طويل وهو ببلاد الهند. انظر ما قيل حول هذا الطائر من الغرائب الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٢/٢٧.

باب: نشأة الإنسان الأول

اعلم

أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الإنسان، بعدما مهّد له المملكة، وأحكم أسبابها إذ كان الله قد قضى بسابق علمه أن يجعله في أرضه خليفة نائباً عنه فيها. فجعله نسخة من العالم كله.

فما من حقيقة في العالم إلاّ وهي في الإنسان فهو الكلمة الجامعة، وهو المختصر الشريف. وجعل الحقائق الإلهية التي توجهت على إيجاد العالم بأسره توجهت على إيجاد هذه النشأة الإنسانية الإمامية.

فقال عزَّ وجل للملائكة:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾(1).

فلما سمعت الملائكة ما قاله الحق لها، ورأت أنه مركَّب من أضداد متنافرة وأن روحه يكون على طبيعة مزاجه قالوا:

﴿قالوا أتجعل فيها من يُفسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّماء﴾(1). غيرة منهم على جناب الحق، ثم قالوا عن أنفسهم بما تقتضيه نشأتهم:

﴿ونحن نُسَبّح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾(1).

ثم نرجع ونقول:

إنّا رُوينا أن الله تعالى وجّه إلى الأرض مَلَكاً بعد مَلَكٍ ليأتوا بقبضة منها ليفتح فيها صورة جسد الإنسان وما من مَلك منهم إلاّ وتُقْسِمُ الأرض عليه بالذي أرسله أن لا يأخذ منها شيئاً

---

(1) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.

يكون غداً للنّار، فيرجع إلى أن وجّه الله عزرائيل فأقسمت عليه كما أقسمت على غيره فقال لها: إن الذي وجهني وأمرني أولى بالطاعة فقبض منها قبضة من سهلها وحزْنها وأبيضها وأحمرها فظهر ذلك في أخلاق الناس وألوانهم. فلما حضر بين يدي الحق شرّفه الحق بأن ولاّه قبض أرواح من يخلقه من تلك القبضة. فتميّز وتعيّن.

وخمَّر الله طينة بيديه حتى قَبِلَتْ بذلك التعفين النفخ الإلهي وسرى الروح الحيواني في أجزاء تلك الصورة، ثم فتح بعد التمييز والنفخ هذه الصورة الآدمية، وعين لها من النفس الكلية النفس الناطقة الجزئية، فكان الروح الحيواني والقوى من النَّفَس الرحماني - بفتح الفاء - وكانت النفْس الناطقة الجزئية من أشعة أنوار النفس الكلية ، وجعل بيد الطبيعة العنصرية تدبير جسده وبيد النفْس الجزئية تدبير عقله. وأيّدها بالقوى الحسية والمعنوية، وتجلى لها في أسمائه لتعلم كيفية تدبير ما ملكها إياه، ثم جعل في هذه النفس الناطقة قوة اكتساب العلوم بواسطة القوى التي هي كالأسباب لتحصيل ما تريد تحصيله.

فبالنَّفَس الرحماني كانت حياة هذه النشأة، وبالنفس الناطقة عَلِمَت وأدركت، وبالقوة المفكرة فصَّلت ما أجمل الحق فيها فأنزلت الأشياء مراتبها وأعطت كل ذي حق حقه. فبما هو من الطبيعة هو من ماء مهين، وآدم من حمإٍ مسنون وصلصال، ومن تراب وطين، وغير ذلك. وبما هو من النفس الكلية والروح المضاف إليه تعالى هو حافظ، عاقل، درّاك، متصوّر، ذاكر، إلى أمثال هذه الصفات الإنسانية والقوى.

ولما سرت النفخة فيه خرج الهواء من منخريه فعطس(١) فتغيرت صورته، [فلما انفصل عنه](٢) عادت صورته كما كانت. [فقال له الملك: احمد الله على ردِّ حُسْن صورتك إليك](٣). فحمِدَ الله. فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك أي: لتحمدني فأرحمك. فذلك هو تشميت العاطس إذا حمد الله(٤).

ثم كان من أمره مع الملائكة ما قصّه الله علينا، وأنزله في الأرض خليفة جامعاً للأسماء الإلهية كلها لجمعيته التي خلقه الله عليها فهو المشار إليه، وإلى كل كامل من الناس بقوله:

---

(١) في المخطوطة (فكان عطاساً).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٣) في المخطوطة [فحمد الله على رد صورته إليه].

(٤) انظر أحاديث تشميت العاطس في الإمام البخاري: **الجنائز** ٣، **والنكاح** ٧١، **والأشربة** ٢٨، **واللباس** ٣٦، ٤٥، **والأدب** ١٢٤، **والاستئذان** ٨، **والمظالم** ٥. والإمام مسلم: **سلام** ٥، ٦، **واللباس** ٢. والترمذي: **في الأدب** ١، ٤٥. والنسائي في **الجنائز** ٥٣، **والإيمان** ١٣. وابن ماجه **جنائز** ١، **الأدب** ٢. وأحمد بن حنبل ٢٨٤/٤، ٢٨٧، ٢٩٩. وأبو داود **في الزكاة** ٤٣، **والأدب** ٩٠. انظر **المعجم المفهرس** ١٧٤/٣.

﴿وهو الذي في السماء إله﴾[1] من نفسه

﴿وهو الحكيم﴾[1] بما علّمه الحق من الأسماء

﴿العليم﴾[1]، بتعيين المراتب وإطلاق الأسماء على مسمياتها.

وهذا كله على طريق الإشارة، لا على جهة التفسير. فاعلم ذلك فأعطته النيابة والخلافة هاتين الصفتين الحقيقتين:

﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾[2] فهذا هو الإله المتخذ.

﴿وأضلَّه الله على علم﴾[2] أي: حيّره على علم، فجعل علمه في حيرته.

يقول الصدّيق[3]: العجز عن درك الإدراك إدراك.

فعلمُك أن ثَمَّ ما لا يُعلم علمٌ محقق، أنت به عالم بلا شك.

وهو قولنا:

الحمد لله. الذي أنا جامع لعلومه، ولعلم ما لم يعلم أنه لا يعلم. ولما تعدَّدَ الكُمَّل من هذه النشأة جعلهم الحق خلائف بعد ما كان خليفة، فكُلُّ كامل خليفة، وما يخلو زمان عن كامل أصلاً فما يخلو عن خليفة، وإمام، فلا تخلو الأرض عن ظهور صورة إلهية يعرفها جميع خلق الله معينة ما عدا الثقلين الإنس والجن، فإنها معروفة عند بعضها، فيُوفُّون حقها من التعظيم والإجلال لها.

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[4].

ثم لتعلم أن كل مولود فإنه يولد على الفطرة، التي أخذها الله على بني آدم من الإقرار بربوبيته لما قبض على ظهر آدم فاستخرج منه ذرّيته كأمثال الذرّ. فقال لهم ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾[5] أنت ربنا. فهذه هي الفطرة، التي فطر الناس عليها وهي الإقرار بربوبية الحق عليهم، فلما كبروا صاروا بحكم الآباء والمربّين، وحُكِمَ لهم بحكم الذر، فمن استمر على الفطرة إذا كان أبواه مسلمين إلى أن يموت عليها كان من السعداء الموحّدين، وإن طرأ عليه خلل يزيله عن

---

(١) الآية رقم (٨٤) من سورة الزخرف.

(٢) الآية رقم (٢٣) من سورة الجاثية.

(٣) أبو بكر رضي الله عنه. أول الخلفاء الراشدين، والد عائشة زوجة النبيّ (ص) حارب أهل الردة وهزم مسيلمة الكذاب، توفي في المدينة ١٣هـ/٦٣٤م.

(٤) الآية رقم (٢٨) من سورة فاطر.

(٥) الآية رقم (١٧٢) من سورة الأعراف.

الفطرة كان بحسب ما زال إليه، ثم يموت على ما هو عليه قبل موته وقبل الاحتضار، وإذا انتقل إلى البرزخ وانفصل عن الدنيا انفصال من لا يرجع يكون في البرزخ على الحالة التي كان عليها عند الانفصال فإن كان على حالة تعطيه السعادة سَعِد، وإن كان على حالة تعطيه الشقاوة شقي، ثم تُردُّ عليه حياته وعقله أوفر ما كان في قبره فيأتيه فتّانا القبر ومعهما محمد (صلى الله عليه وسلم) فيقال له:

ـ ما تقول في هذا الرجل؟

ولا يظهران له بما ينبغي له من التعظيم، فإن (عُصم)(١) الميّت منهما، فيقول: (هذا)(٢) محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنّا، وصدَّقْنا.

[فيقولان له: نم هنيئاً، فقد كنا نعرف منك هذا](٣).

وإن وقف مع [ما يرى من](٤) عدم تعظيم السائلين له (صلى الله عليه وسلم) وتلك فتنة القبر فيقول:

لو كان لهذا عند الله قدر مثل ما يعتقده المؤمنون فيه لعظّمه هذا.

فيقول: سمعت الناس يقولون فيه أنه رسول الله [فقلت](٥) فيه ما قاله الناس.

فيقولان له: لا سمعت، ولا قُلت.

فتتسلمه ملائكة العذاب ثم يبقى على ذلك إلى حين البعث، ويُبعث على ما مات عليه كان ما كان، كما ذكرنا.

ولا يزال ينتقل في مواطن القيامة من موطن إلى موطن، على تلك الصورة التي قبض عليها، فإن ذلك الموطن، وتلك الدار ما هي دار تكليف، لو كانت دار تكليف لنفعهم إيمانهم إذا آمنوا وما بقي كافر إلاّ أسلم وآمن فإنه يعاين ما لا يقدر على جحده ولا إنكاره.

ثم إن الناس [يُحشرون](٦) إلى أخذ كتبهم فمن الناس من يُعطى كتابه [بيمينه وهم أهل السعادة، ومنهم من يعطى كتابه](٧) بشماله.

---

(١) في المخطوط (عظم).
(٢) في المخطوط (هو).
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.
(٥) في المخطوط (فقلنا).
(٦) في المخطوط (تحشر).
(٧) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

[فيقول: ﴿يا ليتني لم أُوتَ كتابيه﴾(١).

وهم الكافرون](٢).

ومنهم من يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره(٣) يُضربُ في صدره فينفُذُ إلى ظهره، وهم المنافقون والمرتابون.

● فأمَّا المؤمنون فهم وجه بلا قفا [يرون من كل جهة](٤).

● وأمَّا الكافرون فهم قفا بلا وجه.

● والمنافقون وجه وقفا.

ثم تُرفَعُ(٥) لهم الموازين فيوزنون بأعمالهم(٦)، فإن رجح عمله به ثقل ميزان عمله به، وارتفعت الكفة به فأخذ إلى عليين، وإن رجح هو بعمله نزل بكفته إلى سجين. وهنالك يقرأ كتابه [بما](٧) قدَّمت يداه.

وأمَّا [الكفار المقلدة](٨) في الكفر. فيقول القائل منهم:

﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾(٩).

وهم الذين بلغتهم دعوة الرسل (عليهم السلام) فردُّوها ولم يعملوا بها. وأمَّا المجرمون، فلا يقيم لهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة وزناً(١٠) [ولا يعبأ الله بهم من قبورهم إلى جهنم، ويأتي أيضاً طائفة مستجيرة، يقول مترجمهم:

---

(١) الآية رقم (٢٥) من سورة الحاقة.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٣) في المخطوط (من خلف ظهره).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٥) بالمطبوعة (ترجع).

(٦) في المخطوطة (لأعمالهم).

(٧) في المخطوطة (ويرى ما قدمت).

(٨) في المخطوطة [وأما المعذرة في الكفر].

(٩) الآيات رقم (٢٧ - ٢٩) من سورة الفرقان.

(١٠) إلى هنا يُختتم المخطوط وفيه:

[بل يُجاء بهم يوم القيامة إلى جهنم أعاذنا الله منها بفضله وكرمه، انتهت عقلة المستوفز والحمد لله رب العالمين لا إله إلاَّ الله وحده].

كُتبت هذه الفقرة بطريقة الهرم المقلوب، انظر صورة المخطوط المرفقة.

رؤوفٌ رَحِيمٌ لا يكونُ مُؤَاخِذاً ... عُبَيْداً أَتَاهُ رَاجِياً مُتَلَهِّفا
لأَجْلِ ذُنُوبٍ قَدْ أَتَاها بِغَفْلَةٍ ... وَلَوْ كَانَتِ الأُخْرَى أَتَى مُتَكَلِّفَا
فَإِنْ شِئْتَ عَفْواً لاَ تُؤاخِذْه إِنَّهُ ... أَتَى مُسْتَجِيراً سَائِلاً مُتَكَتِّفَا

فَأَجَابَه النَّاطِقُ بِلسانِ الحَالِ:

إِنْ كُنْتَ أَنْتَ فَأَنْتَ ... وَإِنْ تَشَأْ كُنْتَ أَنْتَا
يَا مُنْيَتِي يَا حَبِيبِي ... بِكُمْ وَبِي حَيْثُ كُنْتَا
إِنِّي عَلِمْتُ بِأَنِّي ... فِي حِفْظِكُم إِذْ حَفِظْتَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي ... عَنْكُم لَكُنْتُ مَلَكْتَا
عَيْنِي وَلَسْتُ بِغَيْرِ ... لَكُم فَكُنْ لِي وَأَنْتَا][1]

(١) إلى هنا نهاية النسخة المطبوعة وفيما يبدو كان بنهايتها هذا الشعر فكتب هكذا:
ولكن لا توجد خاتمة للمخطوط الذي تمّ نقلهم عنه هذا النص.